مفهوم المجتمع المتعلم في التربية العربية القديمة

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدائم

التجديد في التربية

شعار التجديد في التربية قائم في ايامنا هذه على قدم وساق . ولعل رأس ما يميز الاتجاهات التربوية الراهنة من سائر الاتجاهات الحديثة قبلها . نزوعها الى احداث

تغيير جذري في مفهوم التربية بل في بنيتها واطارها . وابرز مثال على ذلك ان المدرسة ـ وهي الاطار المألوف للتربية منذ الاف السنين ـ غدت عند هذه المنازع القائمة موضع تساؤل وتشكيك وبحث .

هل نبقي على هذا الاطار الابدي الازلي الذي عرفته

التربية ـ اطار المدرسة والصف والمعلم ـ ام في وسعنا اليوم تجاوز هذا الاطار والتفكير في تربية اوسع واشمل ، تتم

خارج هذا الاطار ، في الهواء الطلق ، في المصنع وفي المزرعة والمتجر وفي كل مكاتبها ، هل حتم علينا ان نجعل المدرسة

بجدرانها وصفوفها وسنوات الدراسة فيها ـ مكان التربية الوحيد ووسيلتها الفريدة ، ام ان في وسعنا ان نسوق تربية

تداخل حياة المجتمع كله وتتم بواسطة التقنيات الحديثة ،

من اذاعة وتلفزيون وصحافة وافلام وحاسبات الكترونية

وسواها ، بل تتم عن طريق وسائل التعليم الذاتي ، تعليم المرء نفسه بنفسه ؟ .

هذه الاسئلة ـ وكثير غيرها ـ يطرحها المربون اليوم في وضوح وعناد . بل انهم جاوزوا مجرد طرحها واخذوا في تطبيقها في كثير من انحاء العالم .

التربية عبر مراحل العمر كلها ومن خلال مؤسسات المجتمع جميعها :

ولعل هذه الاسئلة جميعها تلتقي عند سؤال اول اساسي يلفها جميعها ، هل لزام ان تقتصر التربية على مرحلة محدودة من مراحل العمر . وان تتجه الى تعليم الاطفال والشبان خلال فترة يسمونها فترة الدراسة ، ام

ان التربية ينبغي الا تعرف عملا ولا حدا وان تتجه الى افر المجتمع جميعهم ، في مراحل العمر جميعها ؟ .

والجواب الحاسم على هذا التساؤل ـ كما نلفيه لد مجددي التربية اليوم ـ ان التربية السليمة لا بد أن تعن

بالاطفال منذ الصغر ومنذ ولادتهم ، وان تمتد عنايتهـ بحيث ترافقهم عبر مراحل حياتهم كلها ، وان تقدم لهـ

في كل عمر وفي كل مرحلة طرازا من التعليم والتدريب يلا حاجاتهم وحاجات المجتمع ، ويستجيب لمطالب سوق العم المتجددة ولمطالب المعرفة الانسانية المتطورة دوما وابدا .

وقد اصبح هذه الاتجاه شعارا لمفهوم ذاع وشاع العهد الاخير خاصة ، مفهوم «التربية المستمرة» او «التربي

طوال العمر » ومن ورائه مفهوم اوسع واعمق هو مفهو « المجتمع المتعلم » ولا نريد هنا أن نفصل الحديث في هـ

المفهوم الهام ، وحسبنا ان نقول عابرين ان التربية المجد اليوم ترى ان الغاية النهائية لكل تربية ان تقدم من انوا

التعليم والتدريب والتأهيل ما يتفق مع مراحل العمر ومـ يتفق خاصة مع مطالب المجتمع المتجددة . ومعنى هـذا او

الا تقتصر التربية على مرحلة محدودة تتوقف عندها ، بـ ان تمتد عبر الحياة كلها . ومعنى هذا ثانيا ان نقدم لك

فرد في المجتمع شكلا من اشكال التعليم والتدريب يمكنه مـ التكييف مع مطالب الحياة المتجددة من حوله . ومع مطال

التغير في بنية سوق العمل ، ومع مستلزمات التطور العلم التكنولوجي السريع في عصرنا . ومعنى هـذا ثالثا وخاص ان تتم تربية المجتمع كله ، عـن طريق المجتمع كله

بمؤسساته المختلفة ، لا عن طريق المدرسة وحدها . فالبي مكان للتربية ، وكذلك المصنع والمزرعة والمتجر والمسجـ والنادي والصحيفة والمجلة وسائر وسائل الاتصال الجماعية ثم ان المدرسة والجامعة وسواهما من مؤسسات التعليم الرسم

● الصفحة الثانية ●

ليست وقفا على فئة معينة من الناس، هي فئة الطلاب في عمر الدراسة ، بل هي مفتوحة لافراد المجتمع جميعهم ، وهي مكان لتربية المجتمع كله ، ومن الواجب ان تتنوع جهودها ودراستها بحيث تستجيب لحاجات ذلك المجتمع ٠

ومن هنا قامت في انحاء العالم تجارب تستهدف تعميم التعليم ونشره باشكال مختلفة لدى افراد المجتمع جميعهم ، تبعا للحاجة٠ كما قامت وتقوم تجارب تعنى بتعبئة المؤسسات الاقتصادية المختلفة في سبيل تقديم تربية لعمالها تكمل اعدادهم وتجدده ٠ كذلك قامت وتقوم تجارب من شأنها ان تفتح ابواب التعليم العالي وسواه لا للطلاب النظاميين وحدهم بل لجمهور اوسع من المتعلمين الراغبين في تجديد تأهيلهم ٠ ومن ابرز تلك التجارب ، تلك الجهود التي قامت في العديد من البلدان لانشاء « جامعات عمالية » (كما في يوغسلافيا) او جامعات شعبية (كما في السويد والدانمارك)

ولا حاجة الى الاشارة بعد هذا كله وفوق هذا كله الى الجهود الخاصة لمحو الامية الوظيفي والى الابعاد التي تأخذها تلك الجهود ، حين تتجه الى المنتجين المباشرين في مواقع الانتاج نفسها ، حين تعنى بمحو الامية لديهم في مفهومها الواسع الذي يتجاوز مجرد تعليم القراءة والكتابة ويتناول التثقيف المدني والاجتماعي والمهني والصحي وسواه ٠

وبقول موجز ، تنزع هذه الاتجاهات الحديثة كلها الى تحطيم الحدود والسدود بين المدرسة والمجتمع ، والى ردم الهوة التي تفصل بين مؤسسات التعليم النظامية وبين سائر المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ، وتهدف في النهاية الى تربية المجتمع كله تربية مستمرة متجددة عبر مراحل العمر ، يتولاها المجتمع كله ، ولا تتولاها المدرسة وحدها٠

بذور التربية المستمرة والتعليم الموجه للمجتمع كله في التربية العربية :

تلك مقدمة لا بد منها ، لم نقصد اليها لذاتها ، بل اردناها ان تكون مدخلا لحديثنا عن وشائج القربى التي نجدها بين الاتجاهات الحديثة وبين كثير من اتجاهات التربية العربية القديمة ٠

والحق ان لكل من هذه الاتجاهات المحدثة جذورها وبذورها في التجربة التربوية الانسانية عبر العصور ٠ على ان التربية العربية القديمة تكاد تنفرد بالتأكيد على هذه الاتجاهات ، وتلتقي معها حول الفكرة الرائدة التي توجهها، نعني فكرة التربية المستمرة ٠ وفكرة (المجتمع المتعلم) من ورائها ٠

التربية من المهد الى اللحد ، اهم شعارات التربية العربية القديمة :

١ ــ فمن ابرز صفات التربية العربية ــ ولا سيما بعد ظهور الاسلام ــ انها لا تقصر التربية على عمر معين ، بل تجعلها مبذولة للاعمار جميعها ٠ بل ان شعار « التربية المستمرة » يكاد يبدو تجربة باهتة لشعار نجده في الحديث الشريف (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) ٠ فطلب العلم من المهد الى اللحد هو الذي تعنيه التربية اليوم ــ كما رأينا ــ حين تؤكد على التربية طوال العمر ٠ وحين ترفض ان تقتصر التربية على مرحلة عمر معين ٠

ولم يكن طلب العلم من المهد الى اللحد ، مجرد فكرة عابرة ، بل كان في الواقع صلب الحياة العلمية في عصور ازدهار الحضارة العربية ، وكان شعارا هاما من شعاراتها ٠ افلا نذكر ما يرويه ابن قتيبة في عيون الاخيار ، « لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل » ؟ ٠ او لم يسأل عمرو بن العلاء ، « حتى متى يحسن بالمرء ان يتعلم ؟» فاذا به يجيب ، « ما دامت الحياة يحسن أن يتعلم »، لقد سأل احد الحكماء ــ فيما يروي مربو العرب ــ ، ما حد التعلم ؟ ٠ فاجاب ، الحياة ٠ ومما نقرأه للزرنوجي ، «انه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في طلب العلم مهما كان عمره » ، وهذا ما يتوقف عنده حديث شريف آخر حين يقول : «منهومان لا يشبعان ،طالب علم، وطالب مال » ٠ بل هذا هو المعنى العميق الذي تدل عليه الآية الكريمة ، « وقل رب زدني علما » ٠

او ليس من حقنا بعد هذا كله ــ وكثير سواه ــ ان نقول ان مفهوم التربية المستمرة الذي تنادي به احدث الاتجاهات التربوية اليوم ، هو اهم ما ركزت عليه التربية العربية الاسلامية ، واننا حين نخف اليه اليوم لنقبس منه ، فانما نسترد بضاعتنا ونعود الى وجه هام من اوجه تراثنا التربوي ؟٠

مؤسسات التربية واماكن التعليم المتعدد في التربية العربية :

٢ ــ ولم تكتف التربية العربية بالتأكيد على فكرة التربية المستمرة طوال العمر ، من المهد الى اللحد ، بل اكدت فكرة اخرى هامة ، تلتقي معها كما تلتقي مع الاتجاهات الحديثة التي اشرنا اليها، نعني عدم قصر التربية على المدرسة وعلى مؤسسات التعليم النظامية ، والاتجاه

نحو جعل مؤسسات المجتمع كلها ، كالبيت والمصنع والمزرعة وسواها ، مؤسسات تربوية ٠

هذا الاتجاه نجده واضحا في التربية العربية الاسلامية ، قبل انتشار المدارس النظامية وبعدها ، لقد شهد عام ٤٥٩ هـ افتتاح اول مدرسة نظامية ، وكان ذلك في بغداد ، وكانت تلك المدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظمة التي انشأها الوزير السلجوقي نظام الملك ، والتي انتشرت بعد ذلك في العالم الاسلامي ، حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة ، ثم اقتدى بنظام الملك ـ كما نعلم ـ كثير من الحكام ٠

غير ان هذا التعليم عن طريق المدارس النظامية عرف قبله ومعه وبعده شكل آخر من التعليم لا يقل عنه اهمية ، يتم « خارج اطار هذه المدرسة » ٠ ويتجلى ذلك بالتعليم الذي كان يجري في امكنة متعددة تكاد تشمل مؤسسات المجتمع الرئيسية كلها ، كالمساجد ومنازل العلماءودكاكين الوراقين وقصور الخلفاء والامراء والربط والزوايا والبيمارستانات (المستشفيات) والصالونات الادبية ، بل حتى البادية نفسها ٠

ولا يتسع المجال للتفصيل في دور هذه المؤسسات ، فحيث يتبين لنا حقا انها كانتتضم نوعا منالتعليم المكشوف لافراد المجتمع جميعهم ، على نحو ما نرجو اليوم ٠

أ ـ لقد ارتبط المسجد ـ كما نعلم ـ ارتباطا وثيقا بالتربية في العصور الاسلامية المختلفة ، وقامت فيه حلقات الدراسة وحلقات العلم ، ولم يقتصر التعليم فيه على الدراسة الدينية ، بل تعداها الى سواها من معارف ذلك العصر ، وشمل الدراسات اللغوية والادبية نفسها ، كما شملت الطب والميقات وسواهما ٠

ب ـ وقصور الامراء والخلفاء شهدت نوعا من التعليم هدفه تاهيل ابناء هؤلاء لتحمل الاعباء التي سينهضون بها٠ ولم يقتصر الامر على تخصيص « مؤدب لابن الحاكم والامير، بل امتد فشمل انشاء مدارس خاصة ملحقة بالقصر، على نحو ما فعل الفاطميون حين اقاموا فيقصورهم مدارس يلتحق بها اولاد علية القوم وسراتهم ٠

ج ـ ومنازل العلماء نفسها عرفت حلقات تعليمية كثيرة ، كان اولها ما جرى في دار « الارقم بن ابي ارقم » الذي اتخذه الرسول مركزا يلتقي فيه اصحابه ٠ ومن اهم منازل العلماء في العصور التالية ، منزل الشيخ الرئيس ابن سينا ومنزل « ابي سليمان السجستاني » (محمد طاهر بن بهرام) الذي توفي في العقد الاخير للمئةالرابعة الهجرية، ونجد في كتب « ابي حيان التوحيدي » صورا لما كان يدور في مجلس سليمان هذا ٠ ومن منازل العلماء الشهيرة دار الامام الغزالي (٥٠٤ هـ) التي كان يستقبل فيها تلاميذه بعد ان اعتزل العمل بنظامية نيسابور ٠

د ـ وحتى حوانيت الوراقين (التي تشبه اسواق العرب في الجاهلية) جاوزت مهمتها التجارية وغدت مسرحا للثقافة والحوار العلمي ، وقد ظهرت خاصة منذ مطلع الدولة العباسية ، وانتشرت سريعا في العواصم والبلدان ، وظهر بائعو الكتب الذين كانوا غالبا ادباء ذوي ثقافةواسعة وقد عرفت قائمة اسماء الوراقين شخصيات لامعة كابن النديم صاحب « الفهرست » وعلي بن عيسى المعروف بابن كوجك ، وياقوت الحموي صاحب « معجم الادباء » و « معجم البلدان » وسواهم ٠ وان ننس ، لا ننس ان الجاحظ كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر والدراسة ٠

هـ ـ والصالونات الادبية ليست من مبتدعات القرن السابع عشر والثامن عشر في فرنسا ، بل عرفها العرب منذ العصر الاموي (حيث بدأت ساذجة) ، ثم انتشرت رائعة غنية في العصر العباسي ، وذاعت فيها التقاليد والحضارات الاجنبية التي تأثر بها العرب٠ ولقد تنوعت هذه الصالونات فاصبحت للادب او العلوم او الفنون لتناسب الثقافة المتنوعة في ذلك الحين ٠ وقد شهدت كما نعلم مناظرات ومساجلات شهيرة بين الفقهاء وبين أهل الفنون والادب ٠ وكانت لها في عهد المأمون مكانة خاصة (لا سيما بعد ظهور المعتزلة) وكذلك في عهد الواثق ومن بعده ٠

و ـ ولا يتسع الحديث عن سائر اماكن التعليم التي عرفها العرب ، من مثل البيمارستانات (المستشفيات) والخوانق والربط والزوايا ، بل حتى البادية نفسها ٠ فلقد عرفت هذه جميعها اشكالا من التعليم والثقافة ٠ وحسبنا أن نذكر ان « البيمارستان » كان داراً لعلاج المرضى وكان يضم في الوقت نفسه في معظم الاحيان خزائن الكتب وغرفا واواوين ومعاهد لتدريس الطب والصيدلة وما اليها ٠ ولا ننس ان الخليفة المستنصر العباسي جعل في مدرسته المستنصرية العظمى معهدا لتدريس الطب والصيدلة ، شاد الى جانبه « بيمارستانا » يطبق فيه الطلاب

علومهم النظرية على مرضى ذلك المستشفى • ومثل ذلك فعله الملك المنصور « قلاوون الالفي الصالحي » الـــذي بنى البيمارستان الكبير المنصوري في القاهرة عـــام ٦٨٢ هـ ، وجعل فيه قبة ومدرسة ومستشفي ، كما جعل فيه مكانـــا لتوزيع الادوية والاشربة ، ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء الدروس في الطب •

تعليم المجتمع كله من قبل افراد المجتمع كله :

٣ ــ ولم تكتف التربية العربية ــ في تصورها للمجتمع المتعلم ــ بتنويع ادوات التعليم واماكنه ونشرها في كل مكان وفي كل موقع من مواقع الحيـــاة ، بـــل اكدت على ضرورة اضطلاع المجتمع كله بتعليم المجتمع كله ، أي ضرورة قيام كل فرد من افراد المجتمع قـــادر على التعليم بتعليم سواه • فالرسول ــ كما نعلم ــ جعل فدية اسرى قريش ان يعلم كل واحد منهم عشرين من المسلمين • والدين الاسلامي اكـــد على واجب العالم في ان ينقل علمه الى الاخرين • ففـــي الحديث الشريف ، (من كتم علما يجيده الجمه الله بلجام من نار) بل بلغ الامر ان المجتمع الاسلامي اعتبر بذل العلم واجبا لا يجوز اخذ الاجر عليه ، ولهذا اجتمع علماء ما وراء النهر واقاموا مأتم العلم عندما بلغهم خبر بناء المدرســـة النظامية في بغداد (وتخصيص اجور للمدرسين فيها) •

خاتمة ، بين الاصالة والتحديث في التربية وسواها :

وبعد هذه نماذج محدودة من منازع التربية العربية، تظهر بوضوح ان هذه التربيـــة ادركت فكرة « التربيـــة المستمرة » التربية من المهد الى اللحد ، وادركت مفهـــوم « المجتمع المتعلم » ، الذي تتولى فيه مؤسساته كلها تعليـــم المجتمع كله ، والـــذي يتولى فيه كل فرد تعليم الافـــراد الآخرين •

وهذا اللقاء بين اهم منازع التربية الحديثة وبـــين منازع التربية العربية القديمة يؤكد امرين :

اولهما ، ان التربية الحديثة ــ كالادب الحديث والفن الحديث ــ اخذت تعود الى كثير من الاصول القديمـــة والى الانماط التربوية التي كانت شائعة قبل انتشار المدارس في شكلها الذي عرفه العالم في القرون الاخـــيرة • لقـــد ادركت ان التربية التي تتم عن طريق « المدرسة » وحدها ، هي وليدة العصر الصناعي الاول، ذلك العصر الذي عسكر التربية كما «عسكر» حياة العمال، وأقام المدارس التي تقدالطلاب فرائق وصفوفا معزولة ، ولم يتصور اشكالا للتربية اكثـــر مرونة وشمولا • ومن هنا ولدت الثورة الصناعية الثانية ، الثورة العلمية التكنولوجية ، حاجة الى اعادة النظر في هذا الاطار التقليدي ، وانطلقت في طريـــق « تحطيم » هـــذا الاطار ، واتجهت نحـــو تربيـــة اوسع واشمل تأخذ اشكالا متعددة ، وتتم عبر مراحل العمر كلهـــا ، وتضطلع بهـــا مؤسسات المجتمع كله ، وتستهدف تربية المجتمع كله •

ثانيهما : ان التربية العربية التي عرفت هذه التربية الشاملة والمستمرة والمتنوعة واكدت عليها في عصورهـــا السابقة ، تستطيع اليوم ان تمضي في هذه التجربة ، جامعة بين الجديد والتليد ، وان تولد تجربة تستهدف تعليـــم المجتمع كله عن طريق مؤسساته المختلفة، مستهدية بتجربتها القديمة وبناها الثقافية من جهة ، والتجربـــة الحديثـــة ومنطلقاتها من جهة ثانية • ولعلها بذلك تستطيع ان تكون تقنياتها الخاصة التي تلجأ اليها فكرة المجتمع المتعلم هذه ، بحيث لا تكون هذه التقنيات مجرد نقل واقتباس عن حصاد التجربة العالمية الحديثة • فالمؤسسات التعليميـــة الواسعة المتنوعة التي عرفها المجتمع العربي قديما ــ والتي أشرنا الى بعضها ــ يمكن أن تكون منطلقا لتجربـــة تفيد منهـــا وتتجاوزها في الوقت نفسه • وعلى أية حال فالروح التـــي أملت قيام تلك المؤسسات التعليمية في العصور القديمة تظل الاساس الـــذي لا يمكن أن تقوم عليه تجربة « المجتمـــع المتعلم » في أيامنا هذه في البلاد العربية • ذلك ان قوام تلك الروح قيام اشكال مختلفة من التعليم تناسب معارف العصر وحاجاته ، وتتم عن طريق مؤســـسات المجتمع جميعهـــا • وطبيعي أن تشمل تلك المؤســـســـات اليوم ما هو أكثر من المساجد والمكتبات ودور الوراقين وسواها • وان تمتد لتضم المعامل والمزارع والمتاجر والصحافة والاذاعة وسواها من أدوات الثقافة الحديثة •

وفي ظننا ان ما أثبتناه هنا يصلح مثـــالا ونموذجا لتجربة اوسع وأشمل ، تشمل شتى ميادين الحياة،ولا تقتصر على التربية وحدها ، وتستهدف في النهاية الجمع الخصيب بين التراث والتحديث ، بين الاصالة والتجديد ، كما يقـــال اليوم • ونرجو أن يكون لنا عود الى هذا الموضوع ، لنتناول جوانب اخرى من التراث ، تصلح لان تكون منطلقا لتجارب أصيلة وحديثة معا ، وتستهدف في النهـــاية بناء حضارة عربية عريقة وعصرية •

عبد الله عبد الدايم

آخر العرس

شعر أمين نخلة

أصبحت في هم ، وفي يأس — من هذه الدنيا ، ومن نفسي

ما العيش من بعد الصبا ، والهوى — يا قلب : هذا آخر العرس

أين نداماي ، وضوضاؤهم — من هؤلاء الهمد الخرس

أين كؤوسي من رحيق الطلى — ملأى ، فهذي فضلة الكأس

أين شفاه غضة طالما — أفهمت منها أيسر الهمس

أين قدود طالما في يدي — نامت على أغصانها الملس

أين رداء كنت جررته — وأين مني شمخة الرأس

يا من رأى الرجف الذي في يدي — هذا الذي حصلت بالدرس

لا تنظر الطرس ، ولا وشيه — وانظر دموعي جانب الطرس

قد كان لي أمس ، نضيته — وبت في الدنيا بلا أمس

لولا الذي يخفق في أضلعي — لقلت : قد فارقني حسي

يا ليت شعري ، وشبابي مضى — أمصبح هذا الذي يمسي

القنينة الى البحر

نصيحة لشاب مجهول

شعر : الفريد دي فيني - ترجمة : سعيد أبو الحسن

هذه القصيدة نشرت في مجلة العالمين في أول تموز ١٨٥٤ . ولكن فينيي كان يحمل فكرتها منذ عام ١٨٤١ ، كما يظهر من مقطع في اليوميات : « روح الشاعر ام ايضا ، ويجب ان تحب انتاجها لجماله ، للذة الحمل ولذكرى هذه اللذة . » وفي السنة الثانية ، ١٨٤٢ ، خطرت ببال فينيي فكرة الرمز : « الكتاب كالقنينة الملقاة في عباب اليم والتي يجب ان تلصق عليها هذه اللصيقة : ليلتقط من يستطيع.» وفكرة القنينة الى البحر مأخوذة عن مقطع لبرناردان دوسان بيير (دراسات عن الطبيعة ..) : « فكريستوف كولومب فكر ايضا في أن يفيد من تيارات البحر للرجوع من رحلته الاولى ... فوضع حكاية اكتشافه في برميل مغلق القاه في اليم آملا ان يصل عاجلا أو آجلا الى احد الشواطىء .. »

— ١ —

تشجع أيها الفتى الضعيف
الذي تلقت منه عزلتي
هذه الاغاني الشجية ، التي لا اسم لها
والتي تضعها تحت عيني اللتين تظللهما طاقة الدراسة
انس الفتيان الذين اوقفهم الموت ،
انس شاترتون ، جيلبير ، وملفيلاتر ،
اعشق في قدسية عمل المستقبل ،
وأخيرا أنس الانسان في ذاتك — اصغ :

— ٢ —

حين يرى بحار مهتم ان الريح تتقاذفه
وأن الاشرعة المحطمة اصبحت تتدلى جميعا فوق الجسر ،
وان البحر ، في هذه المبارزة الكبرى ، هو الاقوى
وأن العقل عبثا يقدم الحسابات جوابا ،
وأن التيار يسحقه ويدفعه في مجراه ،
وأنه بلا دقة ، وبالعالي ، بلا مدد ،
حينئذ بكتف يديه في هدوء عميق .

— ٣ —

يرى كتل الماء ، فينظر اليها في ازدراء ويقيسها ،
يحتقرها وهو يعلم انه مسحوق بها ،
يخضع روحه لوزن المادة الملوثة
ويشعر بأنه مائت وبأن مركبه مندثر .
— احيانا تكون الروح بلا مقاومة ،
ولكن المفكر ينفرد بذاته ولا ينتظر معونة
الا من الايمان القوي المتأجج فيه .

— ٤ —

في ساعات المساء
عمل الريس الشاب ما استطاع من اجل سلامة رجاله .
ما من مركب يلوح فوق الامواج البعيدة ،
والليل يرخي سدوله ، والمركب يركض نحو الصخور الهندية (٢) .
— يستسلم ، ويصلي ، يتأمل ، ويفكر
في الذي يمسك القطبين ويوازن خط الاستواء
وما يتفرع عنه من خطوط .

— ٥ —

لقد تمت نصيحته ، ولكن يجب ان تتلقى الارض
الذكرى المقدسة للعمل المنجز ،
انها اليوميات العلمية ، الحسابات الانفرادية
وهي اندر من الجوهرة والماسة ،
انها خريطة الامواج المرسومة في قلب العاصفة ،
خريطة الصخرة التي ستحطم راسه :
وصية رائعة لمسافري المستقبل .

— ٦ —

ويكتب : « اليوم يجرفنا التيار ،
ونحن مشوشون ، ضائعون فوق ارض النار
التيار يتجه شرقا . هلاكنا محتم :
يجب الجنوح شمالا لعبور هذا المكان
— طيه يومياتي ، متضمنة بعض الابحاث
عن مجموعات الكواكب العالية ،
فلتبلغ الشاطىء ، اذا كانت هذه هي مشيئة الله . »

— ٧ —

ثم ، ساكنا باردا مثل رأس الضباب
المنتصب حارسا لمضيق ماجلان ،
قاتما كهذه الصخور التي يعلو جباهها الزبد ،
هذه الرؤوس المدببة التي يحمل كل واحد منها حدادا قشتاليا ، (٣)

يفتح قنينة اختارها متينة جدا
بينما كان مركبه الذي يجرفه التيار
يدور في حلقة ضيقة كسرب من الطيور الجارحة .

ـ ٨ ـ

يمسك باحدى يديه هذه الرفيقة القديمة
ويسد ، باليد الاخرى ، فتحتها السوداء الباهتة ،
وكان خاتمها ما يزال يحمل شعار شمبانيا
وعنقها الاخضر مصفر من رغوة ريمس ،
وفي لمحة البصر تذكر البحار في ذهنه ،
أي يوم جمع الملاحين حواليها
ليشربوا النخب الكبير للمركب المبارك .

ـ ٩ ـ

كانوا قد اوقفوا المركب ، وكان عيد كبير
وكل واحد من الرجال كان فوق صاريته ممسكا بكأسه ،
وباشارة من الريس حسر عن رأسه
وأجاب من فوق ب « هورا » مفاجئة ،
وكانت الشمس الباسمة تذهب الاشرعة البيضاء ،
والهواء المهتز يردد هذه الاصوات الرجولية الصادقة ،
هذا النداء النبيل من الانسان لبلاده البعيدة .

ـ ١٠ ـ

بعد الصرخة الجماعية ، كل واحد يحلم في صمت .
في الرغوة الآتية من مايي (٤) يلوح وميض سعادة ،
وفي اعمق اعماق كأسه يرى فرنسة
وفرنسة في نظر كل واحد هي ما تركه فيها قلبه :
هذا يرى والده الشيخ جالسا قرب الموقد ،
يحصي ايام غياب ولده ، وعلى مائدة الراعي
يرى كرسيه خالية الى جانب اخته .

ـ ١١ ـ

وذاك يرى فيها باريس ، حيث تسجل ابنته المنحنية بالمصلة
كل هبات الهواء ،
وتصبغ بالدمع الزجاجة التي تغطي الابرة
وتحاول ان ترجع المغناطيس مع الحديد .
وآخر يرى فيها مرسيليا . تقف امرأة ،
تجري الى المرفأ وتلوح له بمنديل من على الشاطىء
ولا تشعر بقدميها الغائصتين في البحر .

ـ ١٢ ـ

يا شعوذة حوادث الحب التي لا تروى
همسات قلوبنا التي تبدو لنا اصواتا ،
يا حسابات العلم ، ايتها الامثال المثبطة ،
لماذا تظهرين لنا عدة مرات في اليوم الواحد ؟
لماذا تنصبين لنا الحبائل هكذا عند الافق ؟
أيتها الآمال التي تتكور كما تتكور الثلوج ،
ايتها الكرات المعجونة والذائبة ابدا تحت اناملنا !

ـ ١٣ ـ

أين هم الآن ؟ أين هم هؤلاء الشجعان الثلاثمائة ؟
لقد قلبتهم الريح في التيارات الملعونة
على خطاطيف الهنود ، ستعلق لقطات بحرية
ثيابهم الممزقة على أجسادهم المبتردة
الضبّاط العلماء هلكوا قبل الجميع
وفؤوسهم في أحزمتهم وهم يقطعون الصواري .
وهكذا لم ينج من الثلاثمائة سوى عشرة

ـ ١٤ ـ

ويلقي الريس نظرة أخرى على القطب
الذي اكتشف مضائقه المجهولة .
ويرتفع الماء حتى ركبتيه ويلطم كتفه ،
يمكنه أن يرفع نحو السماء احدى ذراعيه العاريتين
مركبه غرق ، وحياته انتهت :
ألقى القنينة في البحر ،
وأدى التحية لايام المستقبل التي بدأت .

ـ ١٥ ـ

انه يبتسم حين يفكر في ان هذا الزجاج الهش
سيحمل فكره واسمه حتى الميناء ،
وأنه وسع أرض جزيرة مجهولة ،
وأنه يسجل كوكبا جديدا يأتمن عليه القدر ،
وأن الله يمكن ان يسمح للمياه الطاغية
ان تبتلع المراكب لا الافكار ،
وأنه بقارورة قهر الموت .

ـ ١٦ ـ

كل شيء قد قيل . اما الآن فليساعده الله
وعاد مستوى الماء الى حاله فوق المركب المبتلع .
وأخذت موجة الغرب تعقب موجة الشرق العريضة
والقنينة تجري في مهدها الواسع ،
وحدها في المحيط ، الماخرة الضعيفة
ليس لها دليل سوى النسمة الخفيفة ،
ولكنها قادمة من السفينة وتحمل غصن الزيتون .

ـ ١٧ ـ

وكانت التيارات تدفعها والجليد يوقفها
وتغلفها بثنايا معطف سميك أبيض .
وجياد البحر السوداء تصدمها
ثم تعود فتشمها في حذر وتمر وهي تنفخ .
وتنتظر الصيف الذي يعود فيغير مصيرها
حين يفك حصار الجليد العنيد
ويتركها تصعد نحو الخط الحار .

- ١٨ -

وفي ذات يوم كان كل شيء هادئا
وكان المحيط الهادىء يرسل مباهجه
بأمواجه اللازوردية ، الذهبية الماسية ،
الى شمس المدار ،
وكان أحد المراكب يمر في عظمة
فشاهد القنينة المقدسة في نظر رجال البحر :
ويرسل اشارات من رايته المتعددة الالوان ،
ثم يطلق قاربا ويتوقف فترة •

- ١٩ -

ومن بعيد يسمع صوت مدفع القراصنة ،
سيهرب تاجر الرقيق اذا اسعفته الريح •
تأهبوا ! وأغرقوا هؤلاء الاعداء المجهولين !
أغرقوا الذهب والجلادين من المغرب الى المشرق !
وتستعيد الفرقاطة قواربها وتجمعها في حضنها
كما تصنع انثى الصاريغ (٥) القلقة ،
ثم تندفع الى الامام بالاشرعة والمحركات معا •

- ٢٠ -

وحدها في المحيط ، وحدها ابدا !
ضائعة كنقطة غير مرئية في صحراء متحركة ،
تمخر المغايرة تائهة عبر المدى ،
وترى رأسا مجهولا لم يكتشف بعد ،
مسافرة مرتجفة محكوم عليها أن تعوم ،
وتحس بأن الطحالب ، منذ سنة ،
قد كونت حوالي عنقها معطفا أخضر •

- ٢١ -

وأخيرا ، ذات مساء ، حملتها الرياح التي تهب من فلوريدا
نحو فرنسا وشواطئها المطرة •
ويلتقط صياد جالس تحت صخور حادة
لزجاجة الثمينة بشبكته •
يسرع الى عالم ويريه لقطته
من دون ان يجرؤ على فتحها
يطلب أن يخبروه عن هذا الاكسير الاسود السري •

- ٢٢ -

ا هو هذا الاكسير ؟ انه العلم ، ايها الصياد ،
نه الاكسير الالهي الذي تشرب به العقول ،
نز الفكر والتجربة ،
لو كانت شباكك قد التقطت ، أيها الصياد
ل الذهب الذي ينساب في عروق المكسيك ،
كل ماس الهند وجواهر افريقية
ثانت قيمة عملك دون ما هي اليوم •

- ١٣ -

ظر • - أية فرحة متوهجة وجادة !
انه مجد جديد يلمع على جبين الامة •
فالمدفع العظيم القوة والجرس المؤمن
يفجران التأثر على السطوح المهتزة
فسيقام اليوم مأتم فخم لابطال العلم
أكثر مما يقام لابطال المعارك
اقرأ هذه الكلمة على الجدران : « احياء الذكرى ! »

- ٢٤ -

أيتها الذكرى الخالدة ! المجد للاكتشاف
في الانسان أو في الطبيعة المتساويين عمقا ،
في العدل والخير ، أيها الينبوع المتفجر للتو ،
في الفن الذي لا ينضب ، هوة روعة !
ماهم النسيان ، والجحود ، والظلم الاحمق ،
ما هم جليد رحلتنا وزوابعها ؟
فعلى لحد الموتى تنمو شجرة العظمة •

- ٢٥ -

وهي أجمل شجرة في الارض الموعودة ،
انها منارتكم جميعا ، ايها المفكرون المجتهدون !
امخروا العباب ولا تخافوا ابدا الامواج او الرياح
وراء كل كنز يحمل الخاتم الثمين •
الذهب الابريز يجب أن يعوم ، ومجده مؤكد ،
قولوا مبتسمين مثل هذا الريس :
« فلتبلغ الشاطىء ، اذا كانت هذه هي مشيئة الآلهة » •

- ٢٦ -

الآله الحقيقي ، الآله القوي ، هو آله الافكار •
فلننثر المعرفة موجات خصبة
على جباهنا ، التي القى القدر فيها النطفة ،
ثم ، بعد أن نجني الثمرة كما تصدر عن الروح ،
مضمخة بعطر العزلات المقدسة ،
لنلق عملنا في البحر ، بحر الجماهير :
- وسيأخذها الله باصبعه ليوصلها الى المرفأ •

---

(١) القنينة الى البحر : المقدمة والقصيدة مأخوذتان عن مجموعة : الفريد ديفينيي ، مختارات شعرية ، كلاسيك لاروس - (ص ١٠٧ - ١١٩) •

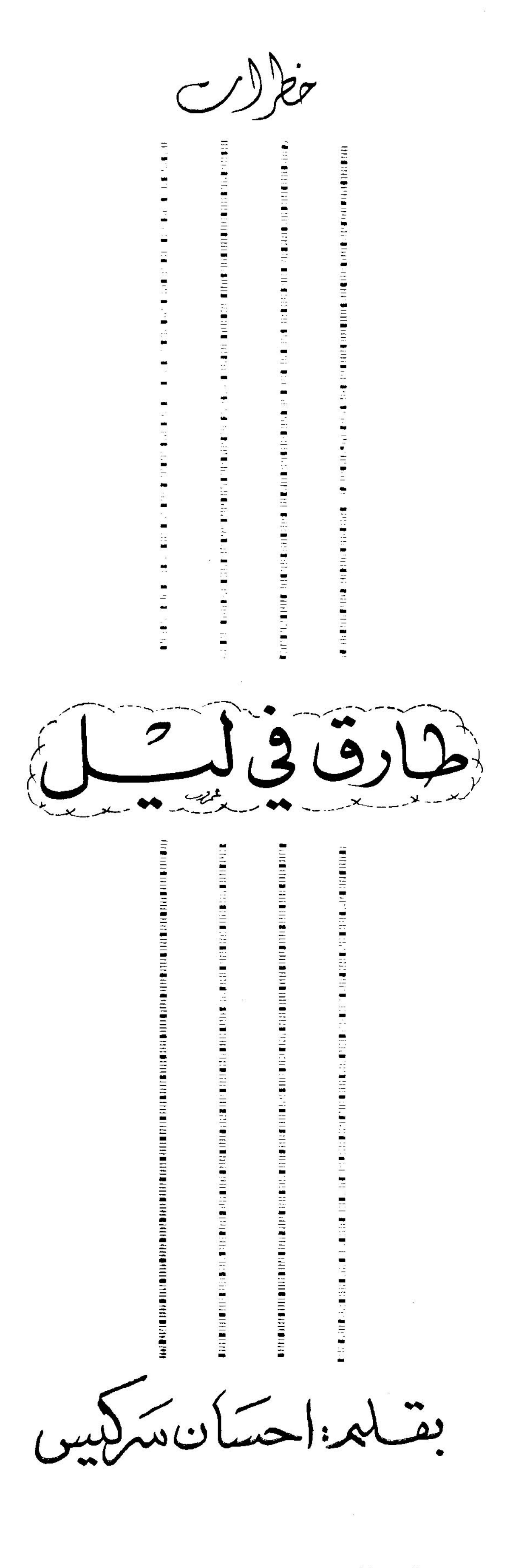
(٢) المقصود الشواطىء الامريكية التي ظن كولومب حين اكتشافها انها الهند الغربية •

(٣) نسبة الى اهل قشتالة الاسبان المشهورين بشدة تمسكهم بالحداد واطالة مدته •

(٤) مايي : مدينة صغيرة في المارن بشمبانيا مشهورة بنبيذها ذي الرغوة •

(٥) حيوان شبيه بالكنغر تحمل انثاه صغارها في جيب تحت بطنها •

المترجم



هذه الشعرات البيض التي تطالعني فأداريها ، باغفالها او الاغضاء عنها ، تحمل في نفسها معنى الاصرار ، عبثا أتجاهلها محاولا أن أزوغ منها فليس الذنب ذنب المرآة كما يقال . انها طارق في ليل خيط ضياء هارب من الفجر يحمل في منسربه أكثر من فكرة واكثر من وقفة ، انها رسول يذكر المرء برفق ، ان الحياة لا تعرف الركود وانها تسير سيرها في تيار لا انتهاء له ، ومن حق المرء ، وقد أعطي الحياة مرة واحدة أن يصونها بما يزيدها غنى لتفيض جهدها بما اكتنزت وادخرت .

هذه الشعرات البيض لسان يفصح ولو لم يتكلم ، فكأنها صدى الامس ونداء الغد ، ولكنها ، على رغمها تظل أعجز عن تقرير شباب المرء او كهولته ، فهذا أو تلك أمور لها سبب مشدود الى قلب الانسان ، وظاهر الحال لا ينبىء بخبيئه ما دام مكنون المرء لا يشام بالعين .

حسب النفس ، في مثل هذه الحال ، أن تتأمل رصيدها ولكنني سأصرفها عن ذلك ، فتلك مسألة حسابية أن يناقش المرء ما أصاب وما أخطأ وما ادرك او قصر دونه .. وليس المرء كمراقب كفتي الميزان ، ترجح احداها او تشبل الاخرى ، فالحياة تظل أبدا رمز وجود هم المرء أن يمضي فيه ليعب حتى الارتواء وأن يسعى فيه سعي المرجي أملا مستمرا ، كمن يعمل لدنياه ابدا ، عندها يجد المرء أن الحياة قد رجحت موازينها لا بطريق المقايسة بين ما ينبغي وما فاز به بل بما بذله من سعي وما استهواه ومس شغاف قلبه فحداه على اشتياقه والظفر به . ولعله في حاله هذه ، يستبين ، بما يشبه النجوى ، همسا يطرق سمعه ويستشف طيفا يوسوس له ما قيل للامير الصغير في قصة « أكسوبري » التي تحمل هذا الاسم ، والذي تألف وردة فمازها على سائر الورود : « ان الوقت الذي أضعته من أجل وردتك هو الذي يعطيها الاهمية البالغة » . والحياة ، هي الاخرى وردة نأنس بها ونألفها ، انما تزدهر بماء الاستمتاع بما تقدمه ، في مسيرة يتخطى الفرد فيها حدود « اناه » الى الآخرين فيؤثر نفسه ، لا كفرد منعزل ، بل كواحد من

انسانية متكاملة متسامية متآلفة ٠

وكالمنارة تشق ظلمة الليـــل ٠ تظل الحياة لألاءا مستمرا ما وصلت بحديها الفرح والايمان بغاية ، والوجود لا يعدو كونه غير ذلك ٠ ومن حق المرء ، كلما أحس بانه في منعرج من منعرجات العمر ، أن يتساءل السؤال الذي يفرض نفسه ابدا ، ولعل اول ما يأتي على البال ، من خلال تساؤله ما أصاب من سعادة ومعنى هذه السعادة ٠ السعادة شأن كل فرد ولكنها وليدة بيئة وظروف اجتماعية تيسر لها أو تحول دونها وهي مشدودة بأسباب الى تطلع الانسان وتشوفه ونظرته الى الوجود مما يسبغ عليها صفة النسبية والتخصيص ٠

والانسان ، بوجوده ، هادف ابدا او ملتزم ، وسعادته تكمن فيما يود بلوغه ، إن وقدة الروح مرهونة بقوة الرغبة، الرغبة في هدف كبير ، بجانب أهداف أخرى أصغر ، مرهونة بمبتغى قد يؤرق الانسان ليله ويستغرق نهاره ويكلفـــه جهده ، فاذا تمرسه بذلك منتهى سعادته ، يطير به واذا العالم كله يبدو لعينيه وكأنه يشع بأضوائه ، وكأن الارض تشدو وتغرد تحت وقع خطاه ٠

★

هذا الطارق في ليل ، وشارته شعرات بيض ، لا يهول من غربة او استغراب ، ما دامت في النفس رغبة في غـــاية أو نزوع الى هدف ٠٠٠ وعندما يموت في الانسان هـــذا الحافز يموت فيه أثمن ما يدعوه المتشبث بالبقاء فيميل عن السوى ليصير يائسا مسكينا ليس لديه ما يمتح منه نسغ حياته ، ولا يمكن عندئذ لألهية أو مسلاة أن تملأ عليـــه جوانب هذه الحياة ٠ وبحق يقال : إن أقصى سعـــادة أن يهيم المرء بفكرة يهبها حياته كلها دون تردد ، أي أن يكون له موعد مع العالم الذي يحيط به ٠

بعض الناس يطلعون على العالم واقصى مبتغاهم أن يغادروه كما كان ، ولعل بعضهم يود لو يمعن القهقرى ، لو يرجع الى متاهة الماضي أو غيابته ٠٠٠ وبعضهم الآخر يطلع ايضا على الدنيا وهمه أن يزيد فيها شيئا ، أن يحدث لخير المستقبل تبديلا أو أثرا ٠٠٠ فعيونه لا تغازل ابـدا إلا خيوط فجر جديد ٠ هذا وذاك يطلعـــان على العالم ، أحدهما يغذ سيره ، وهو منكفيء على عقبيه ، وذاك تقرع قدماه أرض الانسان لتجعل يومه تاريخا وغـــده وعـدا وحياة ٠٠٠ ان الذين يعيشون حياتهم في شرنقة ذواتهم ليس لهم حتى فضل الدودة التي تنسج الشرنقة ، ولا يضير العالم لو لم يوجدوا فيه اذ لا شيء يضيع أو يندثر ، وانمـــا يفتقد العالم من يدعوه فيلبي دعوته ، من هو مستعـــد لان يتخفف من اثقال الفردية والقعود لا تشده أرض خمول او تقاعس من يود أبدا لو يظل فردا في خضم لا متناه من الافراد سداه العلم ولحمته الابداع ، أن يكون انسانا يجود بأثمن ما اعطي ، لا يلتمس من الخير الذي يأتيه الا مـــا يعينه على انماء الحياة ليزيد حرفا في كلمة او كلمة في جملة او صفحة في كتاب او خطا في لوحة أو معنى انسانيا في حياة أفراد أو مجتمع ٠

عندما تداول الحيـــاة ، فمن حق المرء أن يدرك معناها ، أخيرا كان أم أسى وحرقة وضيعة ٠٠٠ ليرى نفسه ومكانه من دنيا أحلامه ورؤاه ٠٠ أين قلبه مما بلغ من العمر ؟ إن شعرات بيض قد تعالج بالاصباغ ، أما القلب فلا شيء يعالجه ، اذا داهمته شيخوخة ، لان بقاءه مرهون دائما بأن يظل شابا لا يرث له شباب ٠

هذه الشعرات البيض انما تستقبل كما يستقبل تبدل الفصول ، فكل شيء ليس بسرمد انما يزيد نفسه اليـك حبا ، ولا شيء يحول دون بهجة الحياة والاستمتاع بها ، حتى في الساعات القلائل التي تبقى لتائه في الصحراء ، وقد نضب ماؤه ، يمكن أن تكون فيها متعة في مرأى نبتـــة أو ظباء أو سراب يلوح من بعيد ٠

ايها الطارق في ليل ، وله من الثلج بعض لونه ، انك على ميعاد مع كل انسان ، ولكن قلبا يعلق غاية لا يجد عنها معدى ، قادر أن يحيل بياضك سوادا ما دام يعيش أمســه أملا في غده مخلوقا من جديد ٠٠٠

احسان سركيس

نجمة الصّبح

شعر عبد المطلب الأمين

نجمة الصبح يا حطـام الليالي ورماد اللفــافة السوداء

خلفتك الظلماء عقبـا ذليــلا تحـــت أقدام كبرياء الضياء

أنــت للنائمين اشــراق صبح ولعيني هجعة الظلمـــاء

خالك الناس كالبــداية عتقا واتقادا في قبـة الجوزاء

وأرى فيـك من نهـــاية عمري ذلة الادب وانكســار العزاء

أنا في الموكـــب الميمم عـــبء ضاح بين الاباء والاعيـــاء

وعلى مفرق الطـــريق التقينا يا لبؤس الذكرى وذل اللقـــاء

فاذا موكب الحياة ابتداء واذا بي في وحشة الانتهـــاء

جرني الكأس للحيـــاة فأدمى قدمي البكر بالسرى والعيـــاء

أنا لولاه مقعـــد في ســرابي وأسير لوحـدتي وانزوائي

لامني النــاس في رفاقة كأسي يحرمون الاعمى عصا الاهتــداء

ويرومون أن أغني وأشـــدو في زوايا مقابر الاحيـــاء

أنت نايي يا كأس، والنغم الحلو عطـاء من كفــك الخرســاء

أنت حطمتني وسقت حيـــاتي في دياجير هــذه الظلماء

أنــا لولاه جــذوة من طموح لم تسعها مــدارج العليـــاء

ثم ماذا ؟ أخون فيك صـــديقي وسميري وسلوتي وعـزائي ؟

لا وعينيك أيها السم فافتـــك بالسقيم المنهوك من أحشـائي

أعوزتني صداقة الناس فاملأ بحطام الاوهـــام فقـر قضائي

القصة عبر العصور

للأستاذ : جعفر الخليلي

القصة حكاية ما يرتسم في الذهن من حياة الانسان في هذه الدنيا مما يقع ضمن حدود حواسه ، او مخيلته فينقلها القاص كما وقعت ، أو كما تصور أن تقع وإذا أتيح للتاريخ أن يعين ابتداء معرفة الانسان لكل فن من الفنون كالشعر والغناء والموسيقى والرسم والنحت ، فانه عاجز كل العجز في أن يعين تاريخ ابتداء معرفة الانسان للقصة كفن ، أما القصة كحكاية فقد عرفها الانسان منذ أن عرف الكلام ، ولا شك أن القصة كانت معروفة فيما قبل التاريخ وقبل اكتشاف الكتابة ، وقد استغرقت فترة ما قبل التاريخ حتى ظهور الحضارة نحو ٩٩٪ من حياة الانسان كما يقدر المؤرخون العلماء ، وقد ظل الانسان يتناقل القصة في عصور ما قبل التاريخ أبا عن جد أو عمن يسمع منهم ، وحتى الآن وقد مر أكثر من ٣٠٠ سنة على اكتشاف نصوص للقصص في وادي الرافدين ووادي النيل مكتوبة على الطين وعلى البردي والناس لا يزالون يتناقلون قصصا عجز القلم عن أن يظفر بها لكي يدونها .

أما فترة ما قبل التاريخ ، فقد بدأت تنتهي بانتقال وادي الرافدين ووادي النيل من الحضارة في الحياة العامة ، من أساليب الصيد والزراعة ، والسكن ونظام المعيشة أو الحروب بالتدريج حتى تم اكتشاف الكتابة وتدوين ما يهم الناس بواسطتها ، ويعتقد المؤرخون أن ابتداء هذا التطور كان في أواخر الالف الرابع قبل الميلاد .

ولقد عثر على نصوص تدل على أن قصصا قد كتبت في أوائل الالف الثاني قبل الميلاد في وادي الرافدين ، ووادي النيل ، وأهم هذه القصص التي تكاد تكون كاملة هي ملحمة بابلية باسم (كلكامش) وهي قصة تتناول بطولة شخص باسم كلكامش وصديقه المسمى (انكيدو) وقد قام كلكامش بالبحث عن الخلود فكلف نفسه القيام برحلة من المخاطر في طرق وعرة مخيفة كلفته القتال واختراق الغابات الموحشة ، وعبور البحار ، وقد وصفت هذه القصة شيئا من عشق الآلهة وفعل السحر والتطرق للطوفان في ملحمة يثير كاتبها المجهول الدهشة في براعة خياله وتضمينه الشيء الكثير من فلسفة الحياة في هذه الملحمة ، وتصوير العقائد التي كانت تسود ذلك العصر وقد ترجمت هذه القصة الى جميع لغات العالم على أغلب الظن وان أحسن من ترجمها الى العربية وعرضها فنيا مع ضبط نصوصها كان الدكتور طه باقر الذي طبعت ترجمته طبعتين ببغداد ثم كان عبد الحق فاضل الذي امتازت ترجمته بحسن العرض والتحليل واخراج نصوصها شعرا في تفعيلات موزونة ذات نبرات موسيقية ، وقد طبعت منقحة ممتازة ببيروت .

وفي قطعة من أوراق البردي يعود تاريخها هي الاخرى الى اوائل الالف الثاني قبل الميلاد أي الى نحو ٤٠٠٠ سنة اكتشفت قصة بوادي النيل كانت مبتورة ولم تبق منها الا بقية أورد الدكتور بريستد ترجمتها على النحو التالي :

« ... مات الذين كانوا في الموكب جميعهم ، ولم ينج منهم أحد ، أما أنا — ولا يعرف من هو المتحدث — فألقتني موجة من أمواج البحر العظيم على جزيرة فلبثت فيها ثلاثة ايام وحدي لا رفيق يسليني سوى قلبي ، وكنت أنا مختبئا بين الاشجار الى أن يغمرني نور نهار فانهض متسللا لعلي أمسك شيئا أملأ به فمي فكنت أجد تينا وعنبا وكثيرا من أنواع الخضرة ..

ثم تواصل القصة الحكاية فتقول :

ان حية ذات لحية طويلة أمسكته .. ووجد أن تلك هي ملك الجزيرة البعيدة الواقعة في البحر الاحمر عند مدخل الاقيانوس الهندي ، واحتفظ الملك (الحية) بهذا البحري (الغريق) ثلاثة أشهر ، أحسن (الملك الحية) في أثنائها معاملته ، ثم ارجعه الى مصر بعد ان حباه بكثير من النضار ...

وقد اعتبر المؤرخون هذا القاص أول (سندباد بحري) واعتبرت قصته هذه أول قصة نسج القصاصون على منوالها في سرد المغامرات .

واذا تركنا النصوص التاريخية فان لدينا من القصص التي تصور الكثير من عصور ما قبل التاريخ ، في قصص ممتعة ، وأساطير غريبة رائعة سجلتها لنا التوراة عن الخليقة والطوفان وغير ذلك ، على الرغم من أن التوراة القديم ام تكتب الا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا ، ولكنه كان جامعا لما كانت تتداوله الالسن ، ويقصه الناس بعضهم على بعض ، حقيقة كان أو خيالا ، وكل هذا يشير الى قدم القصة .

ولم يكن هذا وحده الذي يشير الى قدم القصة واهميتها فهناك الشيء الكثير الذي تركه السومريون ، والبابليون ، والاشوريون ، والمصريون ، وما ورد في الاثار الفارسية بشيراز وعيلام ، وما عثر عليه بين آثار اليونان والرومان وما جاء في (الياذة) هو ميروس و (اوديسته) وما نقلته (شاهنامة الفردوسي) مما جمعته من القصص على غرار جمع التوراة مما عثرت عليه من نصوص وما اقتبسته الحكايات المروية على الالسن والاساطير ، وما صورته (كليلة ودمنة) في عرضها الفني الذي يرمي الى فلسفة الحياة على ألسنة الحيوانات ، وكل هذا دليل على قدم القصة في دنيا الانسان وحياته الطويلة .

ويبدو من الملاحظات التي أوردها جيمس هنري بريستد عن القصص المصرية القديمة ان هذه القصص لم تكتب الا لغايات تتجاوز حدود التسلية والمتعة الى غايات انسانية وأغراض سامية ، ومعنى ذلك ان هناك من كان يفهم قيمة القصة بانها لم تكتب الا لمغاز يراد بها فهم الحياة !! ومقتضيات شبيهة بالقصص الهندية وبكليلة ودمنة من حيث المغزى وليس من حيث الاسلوب فهو يقول « ان الذين كتبوا هذه القصص في العصور المصرية القديمة كانوا يحاولون ان يستنهضوا بها همم الحكام واستمالتهم لمراعاة الطبقات الضعيفة من الشعب ونشر العدل والمروءة بينهم » !؟

أما القصة اليونانية القديمة فتمتاز بكونها أكثر القصص علاقة بالشعر والغناء وهي وان كانت قد دونت على الورق لاول مرة في نحو سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ولكن هناك ما يدل على أن لها أصولا ترجع الى عدة قرون كان يتناقلها المتناقلون قصصا وأشعارا قبل تدوينها ، وتمثل الالياذة قصة الحرب اليونانية في معركة طروادة كما تمثل الاوديسة (أوديوس) البطل عند عودته من طروادة ، وان القصص اليونانية مشحونة بقصص الآلهة واختصاص كل اله فيما يملك من قوة وسيطرة ، وكل هذا من القصص التي سبقت التدوين والكتابة ·

★ ★ ★

وكلما خطا الانسان خطوة في الحضارة زادت القصة عمقا في التصوير وأحاطت بالموضوع والهدف الذي ترمي اليه أكثر وأكثر ، وأبعدت في نقل الواقعة وأسبابها وكيفية بدايتها ونهايتها وما يحتمل أن تكون النتيجة التي صارت عند تكامل عناصرها أجلى من المرآة واصدق في نقل الواقعة من الذهن الى الذهن ·

والواقع ، ان الكثير من العصور القديمة لم يخل من هذه البراعة والتفنن في سبك القصة ، ولكن القصة التي ظهرت بهذا المظهر الحديث بمجموعها العام اسلوبا وسردا وعرضا تحليليا وروعة فنية ، لم تبد الا بابتداء النهضة الاوربية ، وبالامكان اعتبار مبدئها الصحيح سنة ١٧٠٠ على ما جاء في دائرة المعارف البريطانية فيما أخرجه فؤاد عباس ·

ومع ذلك فاني اعتقد ان القصة لم تعرف قيمتها العلمية والفنية كما يجب ان تعرف الا في القرن التاسع عشر اذ لم يكن مفهوم القصة قبل هذا التاريخ في الغالب يتجاوز حدود الافادة التاريخية والتسلية في كثير من الاقطار وعلى الاخص الاقطار النامية ، ولم يكن لها من الشأن ما كان للشعر وسائر الفنون الاخرى · وفي سنة ١٨٣٩ ظهر العالم الفرنسي اوغست كونت ليضع لاول مرة أسسا لعلم الاجتماع الذي سماه بالفيزياء الاجتماعية ، وعنى بذلك العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية كما تدرس العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والفلك ، فهو بالاجمال علم يعنى بالدراسة العلمية للحياة الاجتماعية · وهنا ظهرت قيمة القصة كعامل مساعد لدراسة الحياة الاجتماعية واستخلاص قواعد هذا العلم منها ·

وفي سنة ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩ ظهر سيموند فرويد وهو عالم نمسوي ابتكر طريقة خاصة لعلاج الهستريا اصبحت فيما بعد أساسا للتحليل النفسي وقد تناول فرويد مظاهر كثيرة تخص الشعور ، والكبت ، والوعي ، والجنس منذ نشأة الانسان وهو طفل ، وظهر غيره كتلميذه أدلر، ويونج، ممن عالجوا الميول عند الانسان وقابلياته ، والنقص الكامن في نفسه ، فبانت قيمة القصة الحديثة في هذا الميدان بصورة واسعة وساعدت كثيرا على تطور علم الاجتماع وعلم النفس والتربية ، كما أصبحت عاملا من أهم العوامل في سن القوانين وعلى ضوئها تلافى المشرعون كل ما كان قد فاتهم الالتفات اليه من نقص في التشريع ·

وحين اهتدى ايجسون الى الصور المتحركة والتفكير في اختراع السينما سنة ١٨٩٤ م وبلغ التصوير السينمائي المرحلة المتقنة التي تنقل القصة مجسمة وتجعلها نصب العين خصوصا عندما أصبحت السينما ناطقة سنة ١٩٢٦ ثم خرجت الصورة بألوانها الطبيعية ، بانت أهمية القصة اكثر وأكثر في تطوير المجتمع من حيث النشأة والتربية والعلم والمعرفة اضافة الى المتعة التي تدخل عن طريقها الى النفس وتتمتع بها العين والاذن والذهن ، وراح العالم يستعرض القصص القديمة ليرى فيها ما لم يكن قد رأى من قبل ·

ولقيت القصة في الاقطار المتحضرة مرتعا خصبا بسبب تقدم العلم وانتشار المدينة حتى صار يطبع من القصة الواحدة ملايين النسخ لعدة مرات وتترجم الى عدة لغات ،

وتمثل عـــلى المسرح وعـــلى شاشة السينما ، والتلفزيون وتذاع في الراديو •

★ ★ ★

وللقرآن الكريم فضل السبق في التنويه بالقصـــة كعامل من عوامل التهذيب وصوره يستخلص منها الانسان العظة والعبرة في دنياه ويحقق بها منطوق الآية الكريمـــة « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهـــا ، وآذان يسمعون بها ، فانهـــا لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » •

وبلغ من أهمية القصة في القرآن أن خص الله احدى السور بها فسميت (بسورة القصص) وقد روى المفسرون الكثير عن فضيلة هذه السورة ، وأورد الطبري في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ومن قرأ (طسم القصص) أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به ، ولم يبق في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة: انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه •

وابتـــدأت (سورة القصص) بالقصة مـــن قول الله « بسم الله الرحمن الرحيم ، طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض ••••• الخ » والى أن تذكر الآيـــة مجيء موسى الى شعيب ، واخباره بما جرى عليه في قصتـــه المعروفة مع فرعون وهروبه حـــين أحس بأنهم يطلبونـــه ليقتلوه ، فتقول الآية بعد ذلك : « فلما جاءه وقص عليـــه القصص » قـــال شعيب لموسى « لا تخف نجوت من القـــوم الظالمين » وزوجه ابنته على النحو الذي ورد في القصة •

وقد ورد ذكر القصة في ٢٥ موضعا من القرآن الكريم، ويكفي مدى الاهتمام بالقصة في القرآن وكونها عاملا مـــن عوامل الموعظة والارشاد والتهذيب ما جاء في قولـــه تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هـــذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » فكأن الله بهذا قـــد جعل كل القرآن قصة !!•

وسورة يوسف ، وهي قصة شائعة رائعة ، وقد بلغ في أهميتها كقصة ان رويت عن فضيلتها الروايات الكثيرة ، وفي (مجمع البيان) في التفسير عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هـــون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما » •

وكان الواجب ان يعنى العرب من المسلمين بالقصـــة قبل غيرهم وان يعطوها الشيء الكثير من مجهودهم كمـــا أعطوا الشعر وزيادة ما داموا يرون مثل هذا الاهتمـــام بالقصة من القرآن الكريم ، ولكن العرب كانوا قد تأخروا عن ركب الحضارة في النهضة الحديثة في كل شيء ما عـــدا الشعر ولم يلتفتوا الى مزية القصة الا متأخرا حين أتيح لهم الاتصال بالعالم الخارجي المتحضر عـــن طريـــق الدراسة والسياحة والتجارة ، ورأوا اهتمـــام العالم بها فأقبـــل المثقفون منهم على ترجمة الروايات والقصص القصيرة الى العربية ، وبدأ الجمهور يتذوقها شيئا فشيئا حتى أصبحت معروفة ، ومع ذلك فانها لم تزل قاصرة عن بلوغ القمة في كتابتها بأشواط كبيرة •

★ ★ ★

ويعود الفضل الاول لممارسة القصة العربية بالاسلوب الحديث حسب الوقت الى سوريا ، فهي أول قطر عربـــي نبغ فيه القصاص العربـــي الاول وهـــو فرنسيس المراش ١٨٣٥ ــ ١٨٧٤ والمراش هنا حلبي المولد ، سوري الاصل، وهو طبيب شاعر ، واديب كاتب ، درس العلم في باريس، وتأثر بالادب الفرنسي وثقافته ، وشعر بلذة القصة وعرف قيمتها ومنزلتها بين الفنون والعلوم الانسانية ، فألف كتبا في مختلف المواضيع كالشعر والطب والاجتماع ، فهو بحق الرائد الاول للقصة العربية الحديثة ، ومن أشهر كتبه هذه « غابة الحق » وهي قصة تتضمن الكثير من الآراء العلميـــة والفلسفية ، والافكار الاجتماعية ، وقـــد طبعت ببيروت سنة ١٨٨١

وان رحلته التي قام بها الى باريس سنة ١٨٦٦ والتي سماها (رحلة الى باريس) هي الاخرى نمط مـــن أنماط القصة ، ومن أشهر • ما وضع فرنسيس المراش روايته التي سماها (در الصدف في غرائب الصدف) •

وعلى أن رقعة سورية يومذاك كانت تشمل لبنـــان وفلسطين فقد رأيت اقتصار الاشـــارة على حدود سورية الحاضرة ما دامت هذه المجموعة من القصص التي أقدم لها تخص سورية المحدودة بالحدود الحاضرة ، وكان المنتظر أن تعقب المراش مباشرة خطوات واضحة ان لم تكن سريعة في ميدان القصة ، ولكن القصة ظلت في ركود أو شبه ركود

في سورية حتى حلول القرن العشرين ومرور بعض الوقت من هذا القرن ، حين دبت روح القصة في آداب هذا القطر ٠

وكما كان السبق لسورية في ظهور أول قصاص عربي للقصة الحديثة فيها فانه يخيل لي ـ إذا لم أكن واهما ـ بأن اول ناد للقصة قد قام في سورية ايضا ، ففي الثلاثينات كان هناك في دمشق ناد للقصـــاصين وكـان مبعث حركة ونشاط ، وعلى سبيل الفكاهة اذكر ان الشاعر احمد الصافي النجفي دخل مرة هذا النادي فقيل له على سبيل الدعابة : إنك شاعر فما شأنك وأهل القصة حتى تدخل ناديهم ؟ فقال الصافي صح ما تقولون ، ولكنني أصلح أن أكون موضوعا للقصـــة ٠

وهناك ظاهرة عجيبة في تاريخ القصة السورية وهي ان النضج في كتابة القصة لم يبدأ تدريجيـــا كما بدأ في الاقطار الاخرى ولا سيما مصر ، وانما كان كانهمار المطر الذي لم يسبقه القطر ، وكـــاد المجيد من القصـــــاصين والقصاصات يكونون من ابناء جيل واحد ، ولا بد ان يكون هنالك من علل تحتاج الى دراسة ٠

وظاهرة اخرى عجيبة ، وهي انه قد ظهر بين هؤلاء القصاصين السوريين من قفز بالقصة قفزة استحق بهـــا أن يظفر بالصدارة بين قصاصي الاقطار العربية ، وان وجه العجب هذا ينحصر في الزمن القصير الذي نشأت فيه القصة السورية ، ولم يكن من العجب أن يظفر قصاصو أي قطر بمثل هذه الميزة لو كانت قد مرت أجيال طويلة على مزاولة القصة كما هو الحال في الاقطار الاوربية المتحضرة ٠

وقراءتي لقصص بعض هؤلاء القصـــاصين قراءة متتابعة ، ومعرفتي لبعضهم عن كثب ، توحي الي بان ليس بين هذا البعض الذي عرفت وبين الاعتراف بهم كقصاصين لامعين يجيدون تصوير المجتمع بكل أفكاره وهواجسه كمـــا يجيده مشاهير القصاصين في العالم المتحضر ـ الا عنـــاية خاصة توجهها السلطات لانعاش أدب القصة ، وجمع شتات القصاصين والاهتمام بهم وبذل الجوائز لهم عـــلى سبيل التقدير والتكريم وليس على سبيل المسابقة ثم القيام بترجمة قصصهم الى اللغات الحية ، ونشرها في الاوساط الغربيـــة والشرقية ، متخذة منها وسيلة تعريف لمبلغ ما اجتاز هـــذا الشعب في مراحل المدنية التي تعبر عنها القصة ـ وليس غيرها ـ خير تعبير ٠

ومما لا شك فيه ان هنالك قصاصين آخرين ضاقت هذه المجموعة عن استيعاب قصصهم فلا بد وان يأتي ذكرهم في مجموعة اخرى تلحق بهذه المجموعة على سبيل الاستدراك٠

وجامع هذه القصص وناشرها (١) ، ومخرجها عـــلى هذا النحو تأليفا هو الاديب اللامع حسان الكاتب الذي كان له الفضل الكبير على الادب العربي عامة والادب السوري خاصة ، فقد سهل بمجموعته هذه لمؤرخي الفنون وللقارىء العربي الوقوف الكامل على مدى ما بلغت القصة في سورية عند أئمتها من النضج وتكامل العناصر ، حتى ليستغني كل قارىء بما يقرأ هنا عن أي مصـــدر ، وأي بحث لتلمس القابلية ، والموهبـة ، والاسـلوب ، والهدف في القصـــة السورية عند المتصدرين الذين بلغوا الذروة وعند الـذين اقتفوا آثارهم والذين لا يزالون في أول السلم ، وبهـــذا يكون حسان الكاتب قد وضع لنا في هذه المجموعة دراسة كاملة للقصة السورية بمختلف طبقات القصة وقصاصيها ، وقام بخدمة من خدمات وزارة الاعلام في هذا الفن ، وكان له فضل السبق في هذا المجهود، كما كان له فضل السبق فيما أخرج من أجزاء (للموسوعة الموجزة) التي لخص فيهـــا أهم ما يحتاجه القارىء العربي من الثقافة العامة بأبسط الوسائل وأيسرها ٠

بغداد ـ كرادة مريم **جعفر الخليلي**

---

(١) كان من المقرر أن تكون هذه الدراسة عن القصـــة مقدمة لكتاب « قصص سورية » ٠٠٠ الا أن غـلاء الورق وارتفاع تكاليف الطباعة حال دون ذلك ممـــا دفع صاحب هذا الكتاب الى تقديمه مخطوطا هديـة الى المكتبة الظاهرية ليكمل به هداياه التي بلغت ٢٢ كتابا مخطوطا ٠

كما قدم لهذا الكتاب ايضا الدكتور عمر الدقـــاق عميد كلية اللغات في جامعة حلب والنـاقد الاستاذ عدنان بن ذريل ٠

عشية أديب

وهيب سراي الدين

كانت حياته حافلة بالتناقض ، اذ جمع فيها بين العبودية والحرية ، وبين البادية والحاضرة ، وبين رعاية الماشية ومسامرة الامراء ، وبين مخالطة الصعاليك من أمثاله ومنادمة الخلفاء والملوك •

جمع فيها بين شظف العيش في الخيام ورخص العيش في القصور ، وبين صنعة النفس وغضاضة المحتد وركة العنصر وبين رجاجة العقل وذكاء القلب وفصاحة اللسان •

جمع بين سواد اللون وقباحة المنظر وانحطاط النسب وبين رقة الحاشية وخفة الروح ودماثة الخلق •

وجمع بين نفس بليدة تتحمل مطاردة الابل في المرعى وظلم المولى في المضرب وبين نفس رقيقة دقيقة ، حساسة متأثرة ، جياشة منفعلة •

جمع كل هذا في حياته وشخصه ونفسه •

دعاه يوما أمير مصر عبد العزيز بن مروان للمنادمة، فأجابه : أصلح الله الامير ، اللون مرمد ، والشعر مفلفل ، ولم أقصد اليك بكريم عنصر ولا بحسن منظر ، انما هو عقلي ولساني ، فان رأيت ألا تفرق بينهما فافعل !

وعاتبه مرة الخليفة عبد الملك بن مروان على قلة زيارته له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا عبد أسود لست من معاشري الملوك •

ولامه يوما على عدم شربه النبيذ معه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أسود البشرة قبيح النظرة •

أجل ، لقد كان عبدا أسود البشرة قبيح النظرة ، كما قال • كان لونه مرمدا بل أسود ، وشعره مفلفلا أجعد • كان أفطس الانف ، عظيم المشافر ، ناتىء الوجنتين ، طويلا آدم ، لم يحظ بنصيب من اللون الابيض الا ما كان في أسنانه وقليلا في جوانب عينيه ، كما هو الحال عند أبناء جلدته •

انه عبد أسود انه نصيب بن رباح ، المعروف بابن السوداء نسبة الى تلك الامة السوداء التي وضعته من أحشائها ، والمكنى بابنه البكر محجن • ومتى كان التاريخ يحفل في عصر من العصور بمثل هؤلاء العبيد ، فيذكر اسماءهم والقابهم وكناهم ويدون حوادثهم ويفصل حياتهم كما يفعل بغيرهم من الناس ، وان ألم عفوا بذكر عبد فلا يكون ذلك الا للتفكهه والتندر ، لولا أن صاحبنا هذا كان من فحول الشعراء في العصر الاموي ؟ لهذا ترى أخباره متفرقة في سائر كتب الادب، وان كان ليس له ديوان مطبوع أو مخطوط كما للشعراء ، فان هذه الكتب جمعت بما فيه الكفاية من شعره لتعطيك صورة صادقة عن شاعريته الغزيرة، وخياله الخصب وقريحته الفياضة الصافية ، وفكرة واضحة عن شعره الجيد المطبوع وما امتاز به هذا الشعر من جزالة وعذوبة وسهولة ممتنعة ، كما يقول النقاد ، حتى كان جهابذة الشعر في عصره آنذاك كالفرزدق وجرير والاخطل والاحوص وغيرهم يغارون من هذا الشعر ويحسدونه عليه ، وقد أقروا له جميعا في المدح ، واعترف له بعضهم في النسيب ، فعرف بالمداحة النساية بينهم •

وحياة نصيب تمثل مأساة مؤثرة من ناحية نسبه الوضيع ، ولكنها تمثل عصامية شامخة من ناحية عقله وذكائه • فهو شاعر موهوب مطبوع ، يصدر عنه الشعر عفوا كما يصدر الشعاع عن الشمس ، وتنبعث به نفسه طبعا كما ينبعث العبق عن الزهرة ، وينطلق به لسانه تلقائيا كما ينطلق النهر من ينبوعه • فنصيب يهدر بالشعر أين كان ومتى كان ، لا يحتاج لذلك الا تحريك شفتيه • وهذه العفوية الشعرية والنفس المطبوعة أثرتا بشعره تأثيرا واضحا وجعلتاه يمتاز بالعذوبه والسلاسة والسهولة كما قدمت الى جانب ما هو عليه من جزالة لفظ ومتانة نظم وقوة معنى •

لم تذكر لنا المصادر الادبية عن حياة نصيب الاولى ولا عن تعلمه قرض الشعر ولا عن الاستاذ الذي تتلمذ على يده ولا عن الشاعر الذي اتخذه راوية له ، انما عرفته شاعرا عبدا لاحد العرب في المدينة المنورة يعيش بكنفه كما تعيش السائمة بكنف صاحبها ، اللهم الا ما امتاز به عنها

في عقله ولسانه ، عرفته يقـول الشعر وراء مواشي مولاه في البادية كما يقوله في المجالس والمساجد • ويسمع الناس

له ويعجبون بشعره ، ويـزداد نصيب شهرة كما يزداد قريضه جودة ، والناس ازاءه يزدادون في الاعجاب والاشفاق

معا : الاعجاب لهذا القريض العذب الجزل ، والاشفاق من ان ينقلب عليهم هذا القريض العذب الجزل هجاء لاذعـا

فاضحا في يوم من الايام ، فيشكى الى سيده ، ويهدده هـذا بالبيع ، ويقول له : يـا نصيب ، أنا بائعك لا محالـة ،

فييمم نصيب شطر مصر ويمدح أميرها آنذاك عبد العزيز بن مروان برائية رائعة ، منها قوله :

لعبـد العزيـز على قومـه
وغـيرهم منـة ظاهـره

فبابـك أسـهل أبوابهـم
ودارك مأهولـة عامـره

وكفك حين تـرى المعتفـين
أندى من الليلة الماطـره

فمنك العطاء ومنا الثنـا
بـكل محبـرة سـائـره

ويجيزه عليها عبد العزيز ألف دينار فيمتنع عليـه ويعلمه بأنه عبد والعبد لا يتناول الجوائز ، فيأمر بوضعه

في المزاد على باب الجامع ، ويصـل ثمنه بالمزاد الى ذلـك الثمن الذي وصلت اليه قصيدته بقصة تخرج من قراءتهـا

أسوان متألما ، حزينا متبرما ، لما ترى فيها من ثقل وطـأة هذه المأساة العظيمة على نصيب ، وشدة وقعها على نفسـه

الرقيقة الحساسة وما تركت بها من ندوب وآثار لا تمحى • ويشتريه عبد العزيز ثم يكافئه على شعره الجيد ومدحـه

المتاز وذكائه الحاد فيفك رقبته من قيد الرق ويعتقـه لوجه الادب حرا طليقا كأي انسان يملك حياته وحرمته •

ولكنه لا يفارق عبد العزيز عندما ردت اليه حريته ، بـل حياته ، لان الحرية هي الحياة ، فيمكث عنده اعترافا لـه

بعظيم فضله وجليل صنيعه ، ويصبح شاعـره الخاص ، أو شاعر القصر الرسمي كما يقول الاداريون ، ولكن هـذه

الحرية الثمينة وتلك الحياة الطليقة النفيسة اللتين نعـم بهما على كبر ، وكأنه قد ولد من جديد ، هل مكنتاه مـن

تخفيف غلواء حزنه وشديد آلام مأساته ودمل بضوع قلبه؟! كلا ، لقد ظل نصيب دوما حسيرا كسيرا منكمشا ، لا يفارقه

شعوره بالضعة والغضاضة من ذلك اللون الاسود الطبيعي الذي ابتلى به • يخف هذا الشعور تارة لما تشمله به أحيانا

البيئة الاجتماعية من عطف وتقدير ويزداد تارة أخـرى عندما تقسو عليه وتغلظ • ولكن اذا ما خف هذا الشعور

أو ضعف فسيبقى على كل حال ماثلا في نفسه انـه شخص أسود ، اذا لم يكن عبدا ، لا تليق به مسامرة الامراء ولا

منادمة الملوك على رغم خفة ظله وليونة عريكته ولطفـه وأنسه ، وعلى رغم ما كان يصطنعه من زينة وأناقة وتعطر •

فنراه يدعى لمنادمة الامراء ومجالسة الملوك والخلفاء ويلبي الدعوة مكتئبا منغما ويتقـدم وجلا مشفقا ، ولو حاول

أحيانا أن يموه على نفسه فيفخر بأن عقله ولسانه من غير الطينة التي منها عنصر جسمه وصبغة لونه ، وأنه فصيـح

اللسان ذكي القلب راجح العقل •

ولما مات عبد العزيز بن مروان أوصى سليمان بن عبد الملك بـه خـيرا ، فأصبح نصيب من جملة خواصـه

والمقربين على مائدة سمره اميرا وخليفة ، وبعد سليمان هذا ظل نصيب من الشعراء المقربين جـدا من قصر الخلافة ، وتمكن أن يحظى بجوائز الخلفاء وعطايا الامـراء بأحسن

ما كان يحظى بها شاعر في ذلك العصر • وتمكن مـن أن يحظى أيضا بعطايا ذلك الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ،

عدو الشعراء كما يسمونه ، وها هو ذات يوم يقف على بابه ولم يؤذن له فقال للحجاب : أعلموا أمـير المؤمنين أني قلت

شعر أوله الحمد لله • فأعلموا الخليفة عمر فأذن له فأنشده فأمر له بجائزة ، ومما قاله فيه :

الحمد لله ، أما بعـد ياعمر
فقد أتتنا بك الحاجات والقدر

فأنت رأس قريش وابن سيدها
والرأس فيه يكون السمع والبصر

ويزوره يوما ويقول له : يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ورق عظمي وبليت ببنات نغصت عليهن مـن لوني فكسدن علي •

اننا لم نفهم من هذا القول ادعاء نصيب الفقر المدقع،

والكبر المتهالك فحسب ، فمن المؤكد ان يكون قد تقدمت به السن واصبح غير كامل الاداة للعمل ، ونحن من المرجح الا يكون فقيرا معدما . ولقد عرفنا من دراسة الادب ان

ادعاء الفقر هو الاسلوب الغالب الذي يتذرع به الشعراء آنذاك ، ولا سيما منهم المادحون ، لنوال المكافاة من المخاطب او الممدوح . انما نفهم من هذا القول الذي خاطب به نصيب الخليفة عمر بن عبد العزيز اهم من كل ذلك ، نفهم رنة رقيقة حزينة ، ونغمة كئيبة مؤلمة مصدرهما تلك المأساة الممضة التي المعت اليها سابقا ، وهي ذلك اللون المظلم القاتم الذي اصطبغت به بشرته ثم جنى به على بناته البريئات ، كما تقول الفلسفة العلائية ، واصبحن كاسدات لا يصلحن للزواج . ويعرف الخليفة له هذا المقصد الحزين الذي رمى اليه ، ويرق له قلبه فيقطع بناته أرضا يعشن منها مدى حياتهن .

وكان هشام بن عبد الملك يعطيه الجوائز الكثيرة مكافأة له على موهبته الشعرية ومقدرته الادبية ، كما كان يقدر له حدة ذكائه وسرعة خاطره ولدانة خلقه .

ولم يقتصر شعر نصيب او بالاحرى مدحه على خلفاء بني أمية ، بل تجاوزهم الى الامراء من البيت المالك والى غيرهم من علية الدولة ووجهاء القبائل . وتوفي في سنة ــ ١١٠ ــ للهجرة .

قضى نصيب هذه الحياة وهو ينشد ممدوحيه اروع الشعر وأمين المديح ولقد نال شهرة ذائعة وصيتا بعيدا ، الامر الذي احفظ معاصريه من الشعراء واوغر صدورهم ، فلاقى منهم التعنت الكبير والزراية الموجعة والهجاء المقذع الشنيع ، مستغلين بذلك لونه الاسود ليصفوه فيه باحط الصفات ويشبهوه به بارذل التشابيه . ولنستمع الى هذا البيت الذي قاله فيه الفرزدق بعد أن راه خارجا من عند هشام بن عبد الملك ، وكان متدثرا بثياب بيض ، ولنرى فيه مدى سفاهة الهجاء وخسة التشبيه ، على انني سأحذف الكلمة البشعة ، استحياء من ذكرها :

كأنه لما بدا للناس ... حمار في قرطاس

ولنسمع أيضا الى زراية كثير عزة به ونيله من لونه الذي شبهه بلون البهائم :

رأيت أبا الحجناء في الناس حائرا
ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده
وان كان مظلوما له وجه ظالم

أمثال هذه الابيات المسرفة في التهكم ، الغارقة في السخرية ، كان نصيب يعير بلونه القاتم ويعاب بجلده الفاحم . وكان هو يثقل بهذا الجلد ، ويبرم بذلك اللون ، واحيانا يسيل هذا الشعور على بيانه ابياتا شجية فيها بعض التعزي وفيها بعض الحكمة :

سودت ولم أملك سوادا وتحته
قميص من القوهي بيض بنائقه

وما ضر أثوابي سوادي وانني
لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه

ولا خير في ود امرىء متكاره
عليك ولا في صاحب لا توافقه

اذا المرء يبذل من الود مثله
بعاقبة فاعلم باني مفارقه

ولكم كان يمتعض حينما يدعى الى منادمة أمير أو مسامرة خليفة . ولكم كان يشعر بالنقص في أنه عبد اسود حينما يجتمع مع غيره من الشعراء ، على أنه كان يجلد نفسه على شيء لا يملك له دفعا ، ويطمئن شعوره لامر لا مفر منه :

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا
فما حيلة المضطر الا ركوبها

فلا بد مما لا بد منه ، لا بد من أن يصمد تجاه هذه العاهة الطبيعية ، اذا كان سواد الجلد يسمى عاهة ، وان يثبت أمام ما يوجه اليه بسببها من سهام مسمومة وألفاظ محمومة . فنراه يتعزى بما عوض الاله عليه من موهبة شعرية مكينة وفصاحة لغوية متينة وذكاء فطري عجيب ، ونراه يتأنق بزيه ويتنظف بلبوسه ويتطيب بعطره . قال الفضل بن عباس الهاشمي : دخلت مسجد الرسول (ص) فاذا أنا بنصيب الشاعر ، فقلت له : من أنت ، يرحمك الله ؟ فما أدري مم أعجب ! من شدة بريق سواد وجهك ، أم من نظافة ثوبك ، أم من طيب رائحتك ؟!

هذا الى جانب ما كان يتحلى به من كريم الصفات وطيب الخلال ، ولا سيما عفته وترفعه عن صغائر الامور مما جعل له مكانة عند الملوك كما يقول الدينوري .

وبعد ، لنقف قليلا عند شاعريته وشعره :

يعد نصيب من فحول الشعراء وقد جعله ابن سلام الجمحي في طبقاته بمرتبة عبد الله بن قيس الرقيات

والاحوص وجميل بن معمر من الشعراء الاسلاميين • وكنت قد علمت قبلا مكانته المرموقة في قصور الخلفاء والامراء

وشهرته الذائعة في الامصار ، ومقامه الكبير عند الشعراء على رغم انهم يتحرقون كرها وحسدا • يمر به جرير ذات

يوم وهو ينشد ، فيقول له : اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك! فيقول له نصيب : وجلدتك يا أبا حرزة ! ويجتمع مع

الفرزدق مرة عند الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فيطلب سليمان من الفرزدق ان ينشده ، فينشده أبياتا يتمعر لها

وجهه لعدم لياقتها بالمقام، فلما رأى نصيب ذلك من الخليفة، قال : يا أمير المؤمنين ألا أنشدك على رويه مالا يقصرعنه؟

وانشده :

أقول اركب صادرين ، تركتهم
قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان ، انني
لمعروفه من آل ودان طالب

فعاجوا ، فأثنوا بالذي أنت أهله،
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق : كيف رأيت شعره ؟ فقال : هو أشعر أهل جلدته •

قال سليمان : وأهل جلدتك • وامر لنصيب بخمسمئة دينار ولم يكافىء الفرزدق •

اننا لنرى في هذه الابيات جزالة لفظية سهلة مقبولة، لا غرابة فيها ولا حوشية ، ونرى عذوبة سائغة ، وأداء جيدا

وتعبيرا قويا للمعنى الذي يقصده ! ففي البيت الثالث يريد : لو سكت الصادرون من عند سليمان عما نالوه من

هباته لتكلمت عنهم حقائب إبلهم بالثناء والشكر عليه لما ملئت به من هذه الهبات العظيمة ، فهو قد أدى هذا المعنى

الجميل وساغ هذه المجازية البديعة في أحسن قالب شعري بهذا البيت :

فعاجوا ، فأثنوا بالذي أنت أهله ،

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ولقد سارت هذه الابيات على ألسنة الناس ، وفتنت

معانيها الشعراء وحتى سرقوا ألفاظها ولنرى من سرقاتها هذه السرقة الواضحة الفاضحة لابن الجويرية :

أقول لقائلين يرى عليهم

عطايا منك ليس لها حساب

قفوا أخبركم وتخبروني

قليلا والسراب له اختباب

لأفصحهم وما كفروك حسنا

ولو فعلوا لكذبه الضباب

وبرع نصيب أكثر ما برع في شعره بالمديح أولا وبالنسيب ثانيا ، فقد كان له مديح لا يبارى ونسيب

لا يجارى ، كما يقول السجعيون ، واعتبر بحق مداحة

عصره وقد أقر له جميع الشعراء بهذا الغرض ، واعترفوا

بتفوقه عليهم فيه • وأنا أقدر أن امتيازه هذا في غرض

المديح من أغراض الشعر نتيجة طبيعية لوضعه الاجتماعي

والمادي معا • فهو عبد أسود وإن كان حرا ، ولولا هذا

الشعر الرائع السخي الذي كان ينطلق به لعاش طوال

حياته عبدا مملوكا ، وهو سوقة قاصر لا عشيرة تهتف وراءه ولا قبيلة تشد أزره وتحمي ظهره ، كما نقول في هذه

الايام ، ورزقه ما يجيئه من لسانه ونظمه ، فلا مال موروث ولا نسب متروك ، وشاعر هذه حاله لا بد له من أن يركز

على الغرض الشعري الذي يؤمن له الحماية والرزق ، أو بكلمة أوضح يؤمن له الحياة ، وفعلا تمكن نصيب بمدحه

أن ينال اعجاب ممدوحيه وحبهم وجوائزهم الكبيرة ، هذه الجوائز التي قل أن تهدى الى غيره من الشعراء • وكان

الناس يتنافسون على مدحه كما يتنافسون بمكافأته ويعلمون أنهم يهدون اليه أشياء فانية ، ويقدم لهم بضاعة خالدة

لا يصيبها البلى ، فيمدح مرة عبد الله بن جعفر ، ويكافؤه هذا مكافأة كبيرة سببت له بعض اللوم ، ومثل هذا القول

من أحد خواصه : كل هذا تعطي نصيبا ، وهو عبد أسود؟!

ويجيب ابن جعفر : أما والله لئن كان عبدا إن شعره لحر،

وإن كان أسود إن ثناءه أبيض • وانما أخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ، وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى •

ويمدح نصيب الحكم بن حنطب ، وهو من كرماء

العرب ، فيجيزه ألف دينار ، ومئة ناقة وأربعمئة شاة ، ويخرج من عنده بهذا العطاء الكبير ، فيقولون له : خرف شعرك أبا محجن ، فيقول : لا ، ولكن خرف الكرم • ويهبه هشام بن عبد الملك جائزة عظيمة على بيت واحد ، هو :

إذا استبق الناس العـــلا سبقتهم
يمينك ، عفوا ، ثم حصـلت شمائلك

وأما نسيب نصيب فهـو من النوع الجيـــد اتصف بالعذوبة والتعفف ، يكتفي فيــه بالتلميح من التصريح بخلاف غيره ، وقد قدر له هذه المزية معاصروه من شعراء الغزل أمثـــال عمر بن أبي ربيعة والأحوص وكثير عزة وغيرهم ، هذا الى جانب ما يتصف به هذا الغزل من شعر جزل سهل ، ونظم عذب سمح ، ومعنى قوي متين • وان معظمه يصلح للغناء ، وفعـــلا قد غنى ابراهيم الموصلي بحضرة الرشيد بكثير منه ، ولنستمع الى هذه الابيات لنلمس فيها تلك المميزات التي ذكرتها :

بزينب ألمم قبل أن يرحـــل الركب
وقل إن تملينـــا فما ملك القلب

وقل ان ننل بالود منـــك محبـــة
فلا مثـــل ما لاقيت من حبكم حب

وقل في تجنبها لك الذنب انمـــا
عتابك من عـــاتبت فيما لـه عتب

خليلي من كعب ألمـــا هديتمـــا
بزينب لا تفقدكمـــا أبـــدا كعب

وقولا لها يـــا أم عثمـــان خلتي
أسلم لنـــا في حيث أنت أم حرب

ونرى جريرا قد التهب بنار الحسد من هذه الابيـات البديعة ، ويقـول صراحة : وددت ابن السوداء ان لي هذه الابيات ، ويذكرها جميعا •

ويحدثنا صاحب الاغاني : أن نصيبا قد حضر الى عند كثير عزة وحضر معه عمر بن أبي ربيعـــة والاحوص ، وتناشدوا في الغزل ، وكان كل شاعر يزهو ويفخر عنـدما تذكر أبياته ولكن انكسروا الثلاثة عندما سمعوا :

بزينب ألم قبـــل أن يرحـل الركب
وقل إن تملينا فمـــا ملك القلب

ولنستمع له الى هذا البيت :

أهيـــم بدعد ما حييت فـــان أمت
فوا كبدي من ذا يهيم فيها بعـــدي

واني انتقيت لك هذا البيت من شعر نصيب لا لأدلك على روعة الغزل الظاهرة فيه ، بل لأعلمك بالضجة التي اصطنعها النقاد ومؤرخو الادب حوله ، واخذهم فيه عـلى نصيب هنة كبيرة في تلهفه وهمه على من يهيم بحبيبته دعد بعد ان يموت • وأما أنا فلا أرى بهذا البيت موضعا لهـذه الهنة ، والذي أرى فيه الوفاء والاخلاص فقط ، وهل كان الوفاء والاخلاص هنة تؤخذ على المحب ولو بالغ فيه هــذا وجعله يؤدى في الحياة الثانية ؟!

وقبل أن أنهي كلامي عن غزل نصيب أحب أن نقرأ هذه الابيات ، ونرى كيف تنحدر عذبة سائغة كما ينحـدر الماء في مجراه ، وتنساب سلسة سهلة كذلك الينبوع القراح المنساب في واديه ، وأن ترى فيها جزالة مشبعة ومعـــاني قوية وجمالا فنيا أخاذا :

وكيف يقودني كلف بعـــدي
وهذا الشيب أصبح قـــد علاني

وودعني الشبـاب ، وكنت أسعى
الى داعي الشـــباب اذا دعـــاني

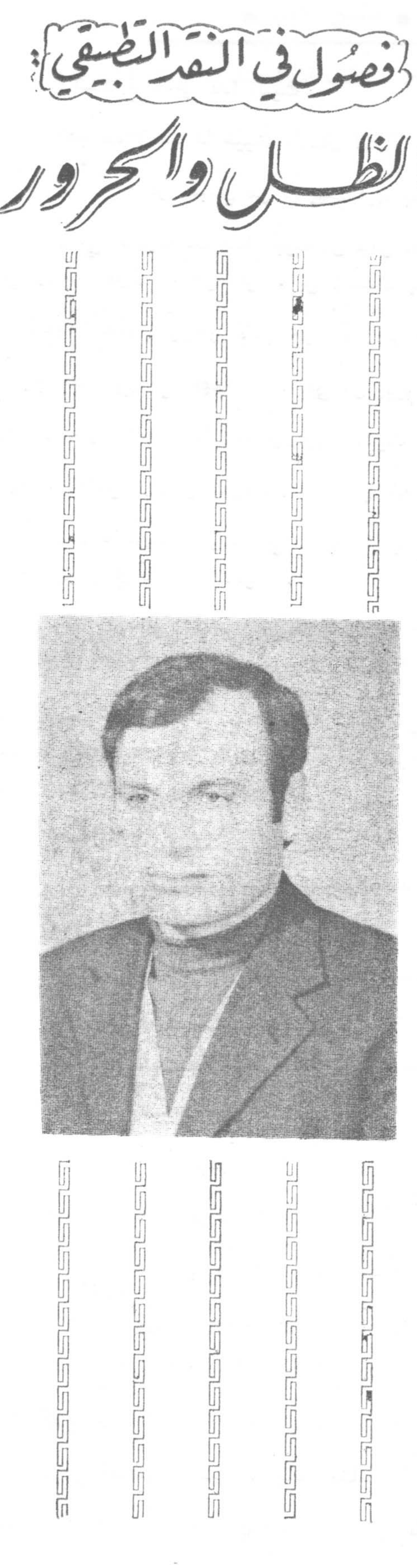
وان يفن الشـــباب ، فكل شيء
من الدنيا ـ فلا يغررك ـ فاني

ولو أني بقيت ، لمسي ليـــل
وصبـــح نهاره يتداولاني

صحيحا ـ لا ألاقي الموت حتـــى
أدب عـــلى القناة ـ لأبأساني

وبعد فأراني قد أطلت عليك حديث نصيب ، أطلت عليك حديث هذا الشاعر الاسود الذي سميته لك في أول هذا الكلام بعتيق الادب • ولكن إطالتي بحديث هذا الشاعر العبد ، هي إطالتي بحديث الحياة العقلية الراقية عنـد العرب والمستوى الرفيع الذي وصلوا اليه في تطبيق مبادىء العدل والمساواة وتكافؤ الفرص • وعلى كل فعذرا •

وهيب سراي الدين



لست أدري ما إذا كان في دنيانا من يماري بأهمية الفن بعامة ، والادب بخاصة ، في نشر الافكار والمبادىء ، والتبشير بها ، وخاصة ونحن نرى الكثير من المذاهب الفكرية والفلسفية والسياسية تنتشر في أوساطنا ومجتمعات مثقفينا عن طريق الفن ، قصة ، ومسرحا ، وشعرا ، وتصويرا ، وموسيقا .. ولن اضرب مثلا بغير سارتر ومذهبه الوجودي الذي ما عرفناه إلا عن طريق رواياته واقاصيصه ومسرحياته التي باء باثم ترجمتها نفر من ابناء جلدتنا . ولو أنه أقتصر عن بث مبادئه وشعاراته فيما نشر من كتب ذات الطابع الفكري الصارم ، لما تعدى عارفوه ثلة من المختصين في دراسة الفلسفة ، ولما ترك بصماته على نتاج لفيف من كتابنا وشعرائنا .. وكذلك الامر بالنسبة الى ت. س. إليوت ، وسواه .. وهذا هو ما يجعلني أتحمس للفن ، وأرى إخوتي مقصرين فيه ، لا يكادون يعرفون عنه إلا الاشتات التي لا ينتظمها ناظم ، الامر الذي يجعل هؤلاء يقفون من الفن موقفا سلبيا لا يستند الى أساس ، سوى تلك الحجج القابلة للنقاش والاخذ والرد . وما أظنني خاسرا في أي حوار يقوم بيني وبين هؤلاء الأحبة ..

ومن أجل هذا أراني أبش ، بل أمتلىء غبطة وارتياحا ، كلما شاهدت أو سمعت أو قرأت شعرا أو قاصا أو كاتبا مسرحيا .. ولعل هذا هو الذي يجعلني أذكر فقيدنا العظيم الاستاذ علي أحمد باكثير ـ تغمده الله بفيض رحمته ورضوانه ـ بمناسبة وبلا مناسبة ، اعتقادا مني أنه قدم خدمات جلّى لفكرنا ، من خلال ما كتب في مجالي المسرح والرواية ، فقد فسر وزميله وصديقه المرحوم عبد الحميد جودة السحار ، تاريخنا تفسيرا روحيا عظيما ، وبأساليب فنية رائعة ، أراها خير رد على من يظن الادب تابعا ، والعمل الحركي متبوعا ، سيدا ، وأن الدولة عندما تقوم ، تجد الادباء والفنانين يتهافتون على أقدامها ، يقدمون لها الادب الذي تريد ، والفن الذي ترغب . وأنا ـ بدوري ـ أحب أن أكرر اعتقادي بأن الادب .. الفكر .. سابق يثير ويدفع ، بل يرسم ويخطط ، ويسهم أيما اسهام في توعية الجماهير ، ويفعل في وعيها ولا وعيها ، فما يكون منها الا أن تنفذ ، بعد أن تكون قد شحنت شحنا ، وعرفت ماذا

تريد ، وماذا يجب أن تفعل ٠٠ ومن هنا ترد المفارقة الكبيرة بيننا وبين من يستنيمون الى أحلام تحقق لهم كل شيء ، بعد تحقيق الدولة التي يطمحون اليها ٠٠

- ٢ -

والثائر الحق انما هو المثقف حقا عندما يثور ، وصاحب هذا الديوان (الظل والحرور) مثقف ثائر ، ترى بوادر هذه الثقافة الثائرة في شعره ، كما تراها في سلوكه المنسجم مع فكره المستنير ، فلم تكن صيحاته هذه مجرد انفعال في لحظة شعورية ما تلبث أن تموت ، بل هي استجابة واعية لدواعي الثورة الشاملة التي آمن بها وبشّر ، نفر من خيرة المفكرين الناضجين ، الذين انبثقوا كالفجر بعد ليل بهيم ، أحلولكت ظلماته ٠٠ ومن هنا ترى البون شاسعا بين شاعرنا ، وبين الشعراء الآخرين ، اولئك المرتزقة المتمسحين بالعتبات عتبات الافكار والمبادىء – وهم لا يؤمنون بها – وعتبات السلطان ، طلبا للرزق الحرام ، والجاه الحرام ٠٠ انهم من أجل هذا وذاك ، يفتئتون على الحقيقة ، حقيقة الحرية ، شعارهم في هذا ، القول المأفون : « ضع رأسك بين الرؤوس ، وقل : يا قطاع الرؤوس » ٠ انه لو فعل ، لكان له ما أراد ، ولكن ٠٠ هيهات ٠٠ هيهات أن يتكسب بشعره ، لانه تجاوز أزمنة المتكسبين ، في زمان المتكسبين ، هذا الزمان الذي يظله ، كما أظل الآلاف من الشعراء ، منذ نابغة بني ذبيان ، وحتى يوم الناس هذا ٠٠ هيهات أن يرتضي أن يكون مطية ذلولا ، بل أن يكون مجرد تابع ، وهم هم مجرد أتباع ٠٠

انه شاعر رسالة ، يختلف عما كان عليه في الامس القريب ، شعراء يصفون أنفسهم بانهم شعراء الاسلام ، شعراء الدعوة ، شعراء الايمان ٠٠ ويصف بها الناس أمثال الكاشف ومحرم وعبد المطلب وسواهم ، انه شاعر أعاد للرسالة التي يضطلع بها ، عهدها جذعا ، منافحة عما يؤمن ، وتبيانا للمبادىء العتيقة الجديدة ، وتبشيرا بانتصارها ٠٠ شعر عبد الله السلامة – صاحب الديوان – ثورة ، يمثل ثورة الاسلام الواعية الشاملة المحيطة بكل جوانب الحياة ، لانه نظام حياة كامل ٠٠ ومن أجل هذه الحياة ، تفجر الشعر ثراً من أعماقه ، لانه لا يؤمن بالقول المأفون الآخر : السكوت من ذهب ٠ فاذا كان سكوت سواه من فضة او ذهب ، فانه يعتبره من أخس المعادن ٠ ومن هنا كانت صيحاته تدوي في سمع الزمان وأهله ، شاهدة على هذا العصر ، محركة لكوامن الحس الايماني الدافع الى تحقيق ما يرنو اليه ، فيبشر به ويتطلع ٠٠ انه عانى – وما يزال – من الوان الكبت والقهر ، ولكن صوته يأبى عليه الاختناق ، يأبى على القيود والظلمات ٠٠ انه لم ينطلق من ألم حسي يفتت جسده ، بل من ألم الروح الابية ، تأبى أن تكبل كالجسد ، فتدفع بالجسد الى التوثب والانطلاق ، وتعزو أكبالها الى خموده وبطء حركته ، فيهوي الجسد تحت السياط ، تمزقه ، وهو الصامد ، لا يعرف الشكوى ولا الأنين ، وانه الأداة المنفذة لتطلعات الروح الفاعلة ٠٠

واذا كان بعض أدعياء النقد عندنا ، يحاولون حجبه وحجب سواه ، تحت وطأة انتماءات مزعومة ، تئن تحت وطأة مذاهب رائجة ، فانه يبقى – على الرغم منهم – فنانا عصريا ، بأوفى ما في معنى المعاصرة من وعي ، ثاقب النظر ، ينظر الى قطعان التافهين ، ممن يحسبون انهم في زمرة الفنانين ، أوهم – ومن هم ؟ – أوهموه وأغروه ، فانقاد اليهم :

علّلوه بكل ما يتمنى
وتباكوا من حوله فاطمأنا

ثم قادوه كالبعير ذليلا
خاسئا يحسب التفاهة فنا

انها ليست نظرة سطحية تبدو للغادي والرائح ، ولكنها البساطة في الأداء ، والعفوية في الطبع قادتاه الى هذا الاحساس العميق ، ليركز على ما هو عام ، عام فعلا في دنى الاقزام ، لان شعره تعبير عن الحياة ، واحساس بها ، كأقوى ما يكون الاحساس ٠ ففي (مأساة نحلة) يروي مأساة تلك المخلوقة الضعيفة ، تترصدها الاعين ، وتحاول الايقاع بها ، فتهرب الى الأودية ، خوفا من نهار الظالمين ، وتقيم خليتها ، ليأتي ظالم آخر ، يسلبها ما جنته من رحيق الازاهير ، ليكون ذخرا لحياتها ، في صيفها وشتائها ، ولكن المخلوقة الضعيفة تأبى أن تستكين ، وتسلم جناها للغاصبين ، فتتصدى لهم ، وتفرغ سمها في دمائهم ، جهد المقل ٠٠ انها ليست قصة النحلة وحدها ، انها قصة الظالمين والمظلومين في هذه الحياة ، تجلت في مأساة نحلة ٠٠ ترى ٠٠ أي نفس انساني هذا الذي يبدو لدى (السلامة) ؟ فهل أغالي عندما أقول : انه ظاهرة حية ، يجعلك تحيا حياة فنية خالصة ، عندما يضعك ضمن أطر الفن الرفيع ، بكل ما يضطرب فيه من خلجات الحياة ، عبر هذا التحليل النفسي الشائق لتلك النحلة ؟٠ لقد اتحد بشخصيته اتحادا حياتيا وفكريا ، فعبر

من خلالها عما في أعماقه ، بطريقة مأساوية مؤثرة ، تثير القارىء ، وتحمله على التفكير ، لانه قدم تجربته الشعرية عن طريق التصوير ، بعيدا من الخطابية والتقريرية ، فكانت أفعل في النفس ، وأحمل للانسان على أن يتلبث في قراءتها ، ويديم التفكير بعد الانتهاء منها ٠

واذا كان الشعر صورة وموسيقا وعاطفة ، فتمل الصورة ، واسمع الموسيقا ، وتشبع بالعاطفة الجياشة ، في هذه القصيدة ، وفي سواها من القصائد الطبوعة لديه ٠٠ اقرأه لتراه ينقل فكره من عالم الحس الى عالم الخيال ، في خط درامي متصاعد ، قدم فيه (نحلته) كما يراها هو :

فاجأتني يا ثقيل الظل تسلبني
ذخر الحياة كما لو كنت دياني
فخذه، إن شئت ، لكن لست تأخذه
الا بافراغ سمي في الدم القاني
واعبر اليه سبيلا شائكا وعرا
هيهات تعبر إلا فوق جثماني

وهذا ما نراه في (المجزرة) حيث بدت ملحمة ، تهدر بصورها قبل الفاظها هدرا ، في عاطفة تستجيش نفس القارىء ، فتهزه هزا ، وهي تومىء الى المأساة عبر خيال مجنح ، تزاحمت صوره ، وتلاحمت أطيافه ، حتى ليخيل اليك ، انك في معمعان ، ولست تقرأ قصيدة في ديوان :

هل يشيع الفجر في الانسان يوما ظفره ؟
بعد أن غاص ببحر الموت حتى الغرغره ؟
كيف ينهي الثكر في ليل الصحارى سفره ؟
ثم يرتد يواري في حشاه سقره
وهو لا يعرف من أحياه ممن عقره !

إنها تذكرني بتلك النجوى المزلزلة ، نجوى عطيل قبل أن يذبح ديدمونة ، وبعد أن عرف طهرها ، ودنس ياغو الاثيم ٠٠ فالغدر هو الغدر ، والنذالة هي النذالة ، في أية صورة تبدت ، في التآمر على حبيبين ، أو في التآمر على أرض وأمة ومعتقد ٠٠ ان (المجزرة) تتألف من ثلاثة وعشرين مقطعا ، كل مقطع يقدم لوحة في صور ، فيها من الحدة والعنفوان ما يحرك أعسى العقول وأيبسها ، وأحنى القلوب وأخرها ، وهي ترى الآثمين الجائرين يغتالون القيم ، ويعبثون بالمفاهيم ، في شعاب ليل طالت سبله ، والتوت مسالكه ، حتى بات الحليم حيران،وأعتى المكافحين مترددا٠٠ وفي ذلك ، يختم الشاعر ملحمته أو مجزرته ، في تفاؤل متشائم ، أو في تشاؤم متفائل ، فيه من الانفعال الوهج ، ومن البيان الحماسة ، ٠ انها برهان أكيد على تأمله العميق ، وفكره المبدع ، المعبر عما تنزع اليه أمتنا ، وترجوه ٠٠

واذا كان العمل الفني بعامة ، والشعر بخاصة ، مرآة تنعكس عليها نفس مبدعة ، عرفنا (السلامة) رجل العقيدة ، ينظر الى الحياة والاحياء بمنظار معتقده، فتفيض نفسه بما يكتنز من تصورات سليمة ، من خلال الموضوعات الشتى التي يطرقها ، فتنبثق عنها القيم الايمانية بأجلى مظهر ، كما في (ضياع الخفير ، ريشة ، و ٠٠ و ٠٠) ففي (ريشة) تصوير أخاذ ، لنفثات مؤمن متسام ، صقر يحاول البغاث أن يهيض جناحيه ، ولكن ٠٠ هيهات ٠٠ كل هذا عبر صور متلاحقة ، كانت إسقاطات فنية موفقة ، على واقع تغشاه ظلمات بعضها فوق بعض :

فان رأيت جراح الصقر قد شفيت
وبات ينجد يمناه بيسراه
فقد تغير مجرى النهر وثبته
حتى يعود الى ما سنه الله

وهذه القيم هي التي تفرض عليه أن يقول :

أواه ، لو أسعفت (أواه) ذا شجن
في ليل محنته أو مر شكواه
لكن (أواه) لفظ لا غناء به
حتى يكون بظل السيف مسراه

وفي ختام (خفير) يكثف فكرته :

لكن ايماني بربي خير قنية مقتن
والويل للاوطان إن لم تلق نخوة مؤمن

كل هذا في تجانس فكري ، وتسلسل طبيعي في نشوء الافكار ونموها وتفاعلها فيما بينها ، الى أن تبلغ الغاية المرجوة ٠٠

ولعل من أبرز ما يتميز به شعر (السلامة) ما نطلق عليه اليوم اسم الوحدة الفنية بين الشكل والمضمون ، والوحدة العضوية ، بما فيها من مفهومات وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر والاحاسيس ووحدة الايحاء ٠٠ ترى هذا متحققا في كل ما كتب ، ويكفي أن أحيلك الى (الشبح ، ريشة ، الثاكل ٠٠٠) لترى مصداق ما أقول ٠٠ حتى في (ضياع) التي قص فيها قصة التعبد للغريب ، حتى في تفاهاته ، مهما تسفلت تلك التفاهات :

نحب التفاهة والتافهين
ولو عبدونا ذيول البقر
فان لم نكن قد سلبنا الحياة
فلا شك أنا سلبنا الفكر

وهذا دليل تفاعل الشاعر مع موضوعه تفاعلا صادقا لا زيف فيه ، ناجما عن الانفعال والمعاناة والتجارب الحياتية التي يمر فيها ٠٠ يقدمها في عفوية وبساطة ، ناجمتين عن رؤية واضحة تجعله ينفذ الى اعماق الامور ، ليزيح عنها طلاءها ، ويجلوها لذوي الابصار الكليلة ، لا البصائر ٠٠

والصور لدى شاعرنا وسيلة الى غاية اسمى ، وليست غاية في حد ذاتها ، كما نلمسها لدى بعض الشعراء المعاصرين الذين لا يحسون بالحياة الا احساسا خارجيا لا ينفذ الى الاعماق فتأتي صورهم ميتة لا روح فيها ٠٠ انه يعتمد عليها ، فيكثر منها ، ولكنه لا يطيل فيها الا لماما ، لانها ليست غاية ـ كما قلت ـ بل هي احدى ادواته الفنية ٠

ولفظته الشعرية تتعانق مع صوره ، لتعبر عن المعنى الجليل في أسر :

أي نور في ظلال الكلمات
راعش الومض ، رشيق الخلجات

آسر الحسن ، ندي اللمسات
ساحر اللمح ، بديع النفثات

ان ما يعجبنا هنا ليس بريق تلك الكلمات ، ولا موسيقا تلك العبارات فحسب ، بل هو كامن ـ كما يقول الناقد العظيم ـ في قوة الايمان بمدلول تلك الكلمات ،

وما وراء المدلولات ٠٠٠ انه في ذلك التصميم الحاسم ، على تحويل الكلمة المكتوبة ، الى حركة حية ، والمعنى المفهوم ، الى واقع ملموس :

لملمي ياروح أمواج الرياح
واسكبي في سمعها أعذب راح

وابعثيها تجتلي شتى النواحي
علها توقظ ميتا من سبات

هذا الى جانب الكلمات الاخر التي تنبيك عن ثروة لغوية غزيرة ، تأتي في هينة ويسر ، فتقع في مواقعها ، فلا تتجافى عنها مواقعها ، فلا هي بالقلقة ، ولا الغريبة ، بل هي في أجوائها تتنفس ، والى مبدعها تشير ٠

- ٣ -

ولا بد لي من كلمة أخيرة ، أعرف فيها بهوية صاحب الديوان ، لعلها تلقي بعض الاضواء على جوانب خفية من نفسه ٠

انه عبد الله عيسى السلامة ، من مواليد قرية الحديدي التابعة لمنطقة منبج ، ولد عام ١٩٤٤ ٠ درس في حلب ، ونال فيها الاعدادية والثانوية ، ثم انتقل الى جامعة دمشق ، وتخرج من قسم اللغة العربية عام ١٩٦٨ ليعود الى بلدته منبج ، فحلب ، ليكون مدرسا للادب العربي في ثانوياتها ٠

أما التأثيرات الاولية في نفس الشاعر ، فقد كانت للمنفلوطي ، فقد قرأه وتأثر به ، كما قرأ الرافعي دون أن يترك في نفسه أثرا عميقا ، ولعل هذا ، الى جانب عبه من الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي ـ لعل هذا يفسر لنا استخدامه بعض الكلمات التي نراها غريبة ، وقد يحسبها البعض متكلفة ، ولكنها كانت استقرت في ذاكرته ، لكثرة ما قرأها ، فاستخدمها بيسر ، لا في القوافي التي يركب في بعضها مركبا وعرا ، بل فيما يسمى بحشو البيت ٠ وشاعرنا لم يتأثر بشاعر معين ، بل هو يقرأ ما تقع عليه عينه ، ويلتهمه التهاما ، لانه لم ير شاعر الرسالة الحق ، ليتأثره ، ويترسم خطاه ٠٠ نظر الى ادعاءات شعراء التفعيلة ، وهم يعدون مميزات هذا الشعر الجديد ، من وحدة عضوية ، ووحدة فنية ، وتعبير عن الخلجات النفسية ، والحركة الشعورية ، فما كان منه الا أن يتحدى هؤلاء ، بهذا الشعر (العمودي) الذي كان له اكثر ايجابيات الشعر الحديث ، الى جانب خلوه من اكثر سلبياته ٠٠ ولعل هذا يبدو واضحا في القصة الشعرية التي يكتبها ، فتأتي قصة فنية ، لها كل مقومات القصة الفنية ، حتى في مجال استبطان الشخصية ، واستخدام المنولوج عبر خط درامي متنام ٠

واذا كان لابد من كلمة استدراكية ، فاني أرى :

١ ـ الطابع العقلي والفكري كان يربو على العاطفة في بعض المقاطع أو الابيات ، الامر الذي هبط بها الى النثرية ٠

٢ ـ هناك هنات لغوية لا تخفى على الشاعر ، ولا تستعصي على شاعريته ، كم كنت أرجو أن يخلو الديوان منها ٠

٣ ـ بعض الكلمات الغريبة ـ لا كلها ـ يمكن أن يستبدل به كلمات أعذب وأقرب الى المعاصرة ٠

٤ ـ السمة الواضحة في شعر الشاعر ، استقاؤه الكثير من صوره من حياة الريف الذي يعشقه الشاعر ، مما جعل للديوان نكهة خاصة ، هي له وليست عليه ٠

٥ ـ هل لي أن أتطلع الى اليوم الذي يسطر فيه شعراؤنا ملاحم بطولاتنا الخالدة ، وسر أبطالنا الخالدين الذين سطروا بدمائهم تلك الملاحم الخالدة ؟

عبد الله الطنطاوي ـ حلب

حارة النحاسين

قصة نزار نجار

في حارتنا ، كنت تسمع أصوات النساء ، ترتفع بالنشيج والبكاء ، وكان باب الدار مفتوحا على آخره : عندما وصلت « زهرة » وعلى ساعدها طفل صغير ، اندس في صدرها تحت الملاءة السوداء ، فلم يظهر منه الا قدماه دقيقتان عاريتان ••

باحة الدار مملوءة بنساء •• لا أحد يدري من أين جئن !•• وبين وقت وآخر ، ينطلق عويل حاد ، ثم صوت ندابة • يتبعه صوات متقطع لمجموعة كأنها بطانة ندب محترفة •• كانت كل واحدة منهن تنخرط في البكاء لدى ظهور أول قادم جديد يدخل الدار •• أما أولاد الحارة ، من صبيان وبنات فقد تجمعوا أمام الباب ، يتدافعون ، ويتصايحون فلم تفلح امرأة واحدة في طردهم ، على الرغم من أن المتوفاة ـ الحاجة فاطمة رحمها الله ـ ما زالت ترقد في الحجرة « الجوانية » وجثمانها الطاهر مازال مغطى بالملاءة البيضاء ، ينتظر نقله للغسل ••

عندما توسطت زهرة النساء ، فجأة ، تركت طفلها الصغير على الارض ، واندفعت الى الحجرة التي ترقد فيها المرحومة ، وهي تلطم وجهها ، وتصرخ كأنها قد فقدت وعيها •• ولكن احدى العجائز منعتها من الدخول وهي تقول ، والدمعة ملء عينها :

ـ شدي حيلك يا بنتي ، يا حسرتي عليك •• الله يعينك •• الله مع الصابرين ••

في هذه اللحظة تركزت الانظار ، انظار النسوة كلها على زهرة وحدها ••

قبل ان تأتي كانت القادمات من أهل الحارة ، قد تجمعن في أرض الدار ، وقد ارتدين أحسن ما لديهن ، بل وخططن حواجبهن ، وتكحلن ••

هكذا •• من كان يصدق !•• من !••

كأنهن قادمات الى فرح ••

وكانت كل واحدة تسترق النظر الى ملابس جارتها ، وكان على ذراع كل أم صغيرة طفل صغير ••

وهي تتظاهر بأنها تكفكف دموعها •• ثم تحاول ان تقارن بين ابنها ـ اسم الله عليه ـ وابن التي امامها أو وراءها•• ثم تحاول ايضا اخفاءه تحت ملاءتها مخافة العين •• والنبي عليه الصلاة والسلام قال : ان العين حق ••

ولكن قدوم زهرة المفاجيء قد أنسى نساء الحارة كل شيء ، وشغلهن عن كل شيء ••

كانت الدهشة تملأ العيون المكحولة فتزيدها اتساعا، وكانت الابتسامات المغتصبة ترتسم بلا معنى على الشفاه ، ثم تختفي فجأة كلما التقت الانظار بالحجرة ، التي يطل منها الموت بهدوء •• وقد اعتصمن جميعا بالصمت ••

لم يعد يرتفع لهن صوت ، حتى الاطفال الصغار انكمشوا في زوايا الدار ، وتكوموا يتفرجون ، حتى الدموع المزعومة تجمدت في المآقي ، وران على الدار الوجوم ، واستشعر الجميع جوا من الغرابة، كأنه الحلم••

صوت زهرة وحده غطى على كل شيء ••

تمشي في فناء الدار ، ووصل الى الحارة فأيقظ كل شيء •• انبعثت من رنته الحزينة الشاكية ، ذكريات الايام ، وأشواقها واندفع من ورائه طوفان مفاجيء من الحزن والطمأنينة ، كأنما عادت الروح الى الحارة فجأة ، بعد الصمت والخواء الطويل ، والاحساس بتعاسة الحياة••

من كان يصدق هذا !!••

لقد عادت زهرة ثانية ، وليس ما تحتاجه الحارة بعد اليوم الا ان يسري في أوصالها الدفء الفتي الذي عرفته من قبل ، لانه كان يمنحها الحب ، والقدرة ، وهدف الحياة ••

★ ★ ★

وزهرة قصتها معروفة ، وكل شيء عنها معروف ، فقد اختفت منذ سنتين ، نعم منذ سنتين ••

صحيح أن واحدا من أهل حارة النحاسين لم يعرف أين اختفت ، ولا كيف كان اختفاؤها هكذا بطريقة غريبة •• ولكن الذي يعرفونه عنها انها تركت الحارة بعد موت الحاج محمد ، ثم غابت من حياة الحارة كلها ، بعد أن كانت قبلة الانظار ، ومهوى القلوب ، وسلوى المعذبين ••

غابت فجأة مثل سحابة صيف ، وذابت الحكايات عنها في زحمة الايام ، على الرغم من أن بقاياها ما زالت محفورة في قلوب الرجال المحرومين من جنس النساء •

التقطتها الحاجة فاطمة ـ المرحومة ـ من الطريق، وجعلتها كابنتها تماما ، لو كان عندها بنت ، فقد كانت محرومة من الذرية ••

كانت زهرة وقتذاك في السادسة من عمرها طفلة حلوة شيطانة ، تتدفق بالحيوية ، وتملأ البيت حياة ، ولكن

الحاجة كانت تكبح من تدفق هذه الحياة فتقرصها كلمـــا رأتها تتعفرت ، وتعضها احيانا او تسحبها من شعرهـــا الاسود الذي يغطي نصف ظهرها على شكل ذيل الحصـــان الطويل ، ولكن الطفلة لم تعد طفلة صغيرة ، فقد كبرت ، وصارت بنتا صبية تخطف العقل ..

« ولم يكن في استطاعة احد في الحارة أن يعرف ماذا في هذه البنت بالذات ، دون بقية البنات ، كأنها كانـــت

روح الحارة كلها ، وهي ما ذنبها .. كل ما في الامر أنها حلوة ، أو على الاصح أحلى بنت في حارتنا ، كان وجههـــا مضيئا ، شفافا ، حلوا ضاحكا ، كان جمالها من النوع الذي يحفر في عينيك اثرا لا تمحوه الايام مهما وضعت في طريقك من وجوه جميلة ..

وكان جسدها ينساب ملفوفا في اتقان . يحيط به ثوبها البسيط بلونه الوردي الهادىء ..

وأنا ما زلت أذكرها ، على الرغم من مرور كل هذه السنوات .. أذكرها ، بثوبها ووجنتيهـــا وغمازتيهـــا الضاحكتين ، وعيونها التي لا تكف عن البريق ..

كانت زهرة تثير الرجال والنساء في الحارة ..

أو على وجه الدقة تثير الرجولة في الرجال ، والغيرة في صدور النساء .

حتى الحاجة فاطمة كانت تغار منها ..

صحيح أنها قد تفخر احيانا بأنها ولية أمرها وأنها هي التي ربتها ، حتى كبرت هكذا في دارها وأنها مثـــل

أمها بل أكثر من ذلك ، فقد كانت جاذبية زهـــرة تأسر قلبها ، وهي لا تدري معنى لحسدها وغيرتها على الرغـــم

من أنها جاوزت الخمسين ، كانت تحس بان دمها يفـــور ويغلي عندما تكون معها في الحمام .. فتندفـــع يدهـــا الغليظة بدون وعي في صدرها ، كأنما تحـــاول ان تحبس جموح النهدين الصغيرين المتوثبين .

أما في البيت فقد حاولت أكثر من مرة أن تدعـــك وجنتيها بقطعة مبللة من القماش ، حتى تكاد تدميهما وهي تقول حانقة غاضبة :

ـ لا أعرف سبب احمرار وجنتيك يا بنت الابالسة .

وكم كانت تهتز وتتأثر عندما تخلو الى نفسها وتتشهى الولد فتمتلىء حسرة وغما وتقول ـ لوجاءني لزوجته من هذه الملعونة ..

« كانت زهرة في الحارة كالفاكهة الناضجة المحرمة لا يقربها أحد ، ولا أحد يدع الاخر يقترب منها ، والقلوب تذوب حسرة ، واعصاب الرجال ، وحتـــى الذين سقطت اسنانهم ترتجف رغبة كلما مرت .. »

ومع مرور الايام ازدادت الحاجة تسلطا ، لم تكن تكف عن التأنيب لحظة ، كانت عينها لا تغفل عن خطواتها وحركاتها ..

ـ زهرة غطي وجهك

ـ زهرة ثوبـــك قصـــير .. أنت تفسدين بنات الحارة .

ـ زهرة لا تقفي وراء البا بهكذا ..

حتى حرمت عليها اخـــيرا الخروج ، وحبستها في الدار .. ومنعتها من أن تدوس قدماها أرض الحارة أو تخطو فيها خطوة .. ولكن ذلك لم يكن يقلـــق زهرة في شيء .. فقد كانت نفسها عازفة عن الخروج ، تفاديـــا لسخط الحاجة البغيضة اليها ، ودفعا للسانها الطويل ..

★ ★ ★

ومر يوم .. كان زوج الحاجة فاطمة في حجرتـــه وحيدا .. وكانت زهرة وحدها تمسح فناء الدار ..

الحجرة ترتفع عن الارض قليلا ..

والنافذة الجانبية تطل على أرض الدار ، والجـــو صيفي حار ، والحاجة في الجامع القريب تستمع الى درس العصر .. ولولا ضجره من شغل الدكان ، وطول النهار، ما عاد في هذا الوقت ، ولما قام الى النافذة منهـــكا يتثاءب ويتمطى ، ويأخذ فكرة عما تفعله زهرة ..

ولما شاهدها !..

في انحناءة رأسها ، وتشميرة ثوبها ، بدأ عقله يتركز فجأة مع عينيه المفتوحتين الذاهلتين

ساقان جميلتان منتصبتان ..

أستغفر الله !!..

هكذا بدا له من النظرة الاولى ..
ولكن النظرة التالية كانت نظرة ذهول ،
يستبعد تماما أن يصدق أن شيئا كهـــذا ممكن ان يحدث ..

فقد سحبت زهرة الحصيرة ، ونشرتها في أرض الدار، واستلقت فجأة ..

وبرهبة المذهول ، راح ينظر اليها ..
كان في استلقائها كسل أنثوي ..

● الصفحة السابعة والعشرون ●

بل تعب ، واسترخاء حيوية ، قد أضاف الى صباها المشع صبا ..

ضاقت له عيناه ، واهتز جسمه ..

كان صدرها الناهض ، كأنه يسبيله الى التنهد حرفة ولوعة ..

احس الحاج محمد بتيار غريب ، يجتاحه ، يجوب جسده كله مع كل نفس .. ولا يوقظه من تعب يوم أو انهاكه ، ولكن يوقظ أجزاءه واجهزته من رقدة عمر طويل ، ويمحو هكذا في ومضة ، آثار سنين ، وأمراض ، ومشاغل ، وحياة تصلبت ، وجفت ، واستحالت الى درب ضيق محدود في ناحية منه الحاجة فاطمة التي جف منها ماء الحياة ، ولم تعد تفعل شيئا الا أن تنعق .. وتضايق.

آه .. ولكن ؟! ..

وفجأة لمعت الفكرة ..

برقت في لحظة من اللحظات التي لا يمكن أن يحسب لها من الزمن حساب ،

لماذا لا يتزوج زهرة !؟!.

وهو يتشهى الولد ، فيرزق منها بالصبيان والبنات ، آه .. ولكن زهرة هذه من جيل بناته ان كان لديه بنات ..

★ ★ ★

ثم مرت الايام ، وسمعت حارتنا بزواج زهرة ، فضجت من أولها الى آخرها ، بخليط من الحكايا ، وتنافست

النساء في تقديم الاخبار المتعلقة بهذا الزواج المفاجيء ، وتحسر الشباب على الجمال الفتي تعبث به أيدي العجوز

المتصابي ، حتى ان بعض الخبثاء تجمعوا في نهاية الزقاق المسدود وبدأوا يعلقون ويتهامسون ، وهم مشفقون ، على ذلك الجسد الذي سيهصره الحاج هصرا عنيفا ، وعلى الاصابع المرتجفة الجافة التي ستداعب نهدي زهرة ، ثم لعنوا الحارة كلها ، واستعانوا عليها بالشتائم والسباب والالفاظ البذيئة ..

★ ★ ★

كانت زهرة تنادي الحاج « عمو الحاج » فصارت تناديه تماما كما تناديه الحاجة فاطمة ، ولكن الزوج عندئذ كان قد ضاع بين الاثنين ..

وقد أظهرت الايام ان زهرة كانت أقوى مما

يتصوره أحد ، حتى الحاجة نفسها تراجعت أمام سطوتها الجديدة ، وبدأ نجم زهرة وحده يسطع ، وسعدها يرتفع ، بينما انسحبت تلك بصمت ..

ولم يعرف الحاج كيف يلبي طلباتها ، يوما بعد يوم ، وحين ولدت له ولدا ، أحس بانه يملك الدنيا ، وود كثيرا لو يرقص في الدكان طربا ، ولكنه خشي كلام الناس في السوق ، وكلامهم لا يرحم ، وضاقت الحاجة بما ترى وتسمع اكثر ، حتى حبست نفسها في حجرتها ، كأنما الامر لم يعد يعنيها ، بعد ان نسيها الحاج محمد تماما .

« اين العشرة الطويلة ، يا حاج

واين الايام الخالية .. ولكن الشباب لعنة .

والكهولة لعنات ، فاين راحة القلب بعد اليوم » .

وذاب جسم الزوج امام جسد زهرة ، كما تذوب الصابونه ، ولم يبق منه الا الرقوة ..

ثم استيقظت الحارة أخيرا على خبر موته ، بعد سنتين انتفض بين يديها ومات ، ومنذ ذلك اليوم اختفت زهرة بطفلها الصغير ، وغابت كأنما الارض ابتلعتها ، ولم يستطع أحد من أهل حارتنا أن يعرف أين ذهبت ، حتى الحاجة نفسها لا تدري شيئا ، واستسلمت حارتنا للحزن ، وقد دهمتها الكآبة على غير انتظار أو توقع ، رغم انه لم يكن هناك ما يدعو الى الكآبة اطلاقا ..

ماتت الحكايا فيها ، وأصاب النسوة سأم غريب ، وحتى الاحاديث أصبحت فاترة باردة بين الرجال . ليس فيها جديد .. حتى الشبان الخبثاء تفرّقوا بعد أن كانوا يجتمعون دائما في نهاية الزقاق المسدود .

★ ★ ★

وفي هذا اليوم .. هذا اليوم بالذات ، ماتت الحاجة فاطمة وعادت زهرة ، كأنما انشقت عنها الارض ، عادت جميلة كعهدها .. وكأن شيئا لم يحدث في هاتين السنتين .

وأحست حارتنا أن الحياة قد بدأ يعود لها طعمها الخاص الحلو ..

كانت زهرة قد ذهبت حقيقة .. وذهب معها سحرها ، ولكنها اليوم عادت ..

شيء واحد تغير فيها .. شيء واحد فقط ..

عيناها !..

لم يعد فيهما ذلك البريق الرائع .. الذي تنخفض به أو تخجل اثناء الكلام ، ولكنها تركتهما مفتوحتين حلوتين جريئتين مخيفتين ..

ولكن آه !..

لو يعرف ــ فقط ــ أهل حارتنا أين كانت زهرة ، وماذا ستفعل بعد اليوم !..

نزار نجار

عشر القول

شعر: مصطفى عكرمة

جن الدجى ... فأصابعي شعل   وأذى الرياح الهوج متصل
والجسم منهد القوى ، حملت   أوصاله ما ليس يحتمل
أعيى السرى قدمي ، وأبترها   ان طاف في أحلامها الملل

حتى انتهيت الى دجى عميت   فيه النجوم ، وهده الشلل

والبدر مذعور تلاحقه   جن ... فما بظهوره أمل

والنجم !! حتى النجم منكمش   متبلد احساسه ... وجل

مستسلم للريح تصفعه   فأدار لكن وهو منخذل

والزمهرير بنابه نزق   لا يرتوي ... وبقلبه غلل

متشبث بدم الثرى ... نهم   مستنفر الاعصاب ، منفعل

وتقدقد الاطفال ينهشني   والكل في بلواه منشغل

وتجيء تسألني على خجل   ويكاد منها يخجل الخجل

وتريد أن أسعى ، وتهلكني   لو أن ظلي راح ينتقل

وتذيبني ... وتود أسمعها   يا من بلطفك يعذب الغزل
وتقوم تعرض لي مفاتنها   فتود تفقد نورها المقل
وتذيع ... يا ليت المنى صدقت   كرمى لها .. أدعو .. وأبتهل
والناس !! أغرى الناس ما زعمت   أني الاثير ، وفعلها مثل

* * *

جن الدجى ... والريح متصل   وأصابعي لأحبتي شعل
وأكاد ـ عفو البوح ـ يشغلني   أن أنتهي وجميعهم غفلوا

أعياهم شوط وأقعدهم   وأنا الذي لم تعيه السبل
أذرت بهم حيل ملونة   عفو الوداعة ... انها الحيل

ويزيد عصف الريح في شعلي   وتظل تصفع كبره الشعل

ويجيء قول المخلصين غدا   وازور ألف غد وما خجلوا
ملت غد من قائلين غدا   يا ليت عشر القول قد فعلوا

بالعراء معاً ..

بقلم
رشيقة العمري

مأساة ان تكون وحيدا ٠٠ ولكنها الفاجعة التي تشلك ان تعيش بلا حماية ، ان تكون بالعراء وحيدا ٠٠ لا احد يذود عنك والريح تعصف بك من كل جهة، وتقتلعك من جذورك دون ان تجد جزءا صغيرا تتمسك به او مأوى تلجأ اليه ٠٠ لا تعرف اين تسير ولا لماذا تسير ٠٠؟ كيفما تحركت تتخبط وحيثما التفت تقع ٠٠ تدور حولك باحثا عن يد صغيرة تنتشلك ، عن كلمة حلوة تتعلق بها عبثا ٠٠ ضياع يدفع الى ضياع ، وخطأ يدفع بك الى خطأ اكبر ٠٠ كل هذا وانت ضعيف ضعيف ، لا تملك غير كلماتك الخرساء ودموعك الحارة ، واسئلتك المبتورة ٠٠ اين تذهب ؟ كيف تتصرف ٠٠؟ لمن تلجأ ٠٠؟ ماذا تصنع ٠٠؟ لاشيء غير المزيد من الحيرة والتعثر ٠٠٠ وهذا شأن ايتها الصديقة ٠٠ انت تعرفين ان ابي مات ٠٠٠ رحل الاب الذي كان يحميني ويدفع عني الاذى ٠٠٠ رحل بعيدا بعيدا الانسان الذي كان يستمع الي وينتظر عودتي ويلاحظ بسمت ودمعتي ٠٠٠ رحل من كنت طفلته الصغيرة المدللة التي يحميها ويحضن اخطاءها ويأخذ بيدها الضعيفة ويرغم من حولها على حبها واحترامها ٠ رحل من كان يلملم ادمعي ومشكلاتي ويهرب بي الى دنيا الحب والحنان ويدعني ارتع هناك مع احلامي واتخلص من ثورتي وعربدتي وعندها يعيدني بنعومة الى بيتي روجلي ، ويفهمني ان مكاني هناك عند الانسان الذي انتقيته بارادتي وان العالم كل العالم ينتهي عند ارضائه والتصاق به ، ويسيطر علي بحكمته وحبه فاعود الى انسانيتي وحبي وانساني ٠٠

وتدور الايام ويضغط على الاب ويتذمر من بعض تصرفاتي فاهرب الى انساني بآلية، فيأخذني اليه ويهدهدني ويقنعني بان ابي خير رجل ومرد تعنته وثورته الى كبره وتمردي وخروجي عن المألوف في رأيه ٠٠ ويبقى معي يغمرني بالحب والعطاء والحنان حتى انسى نفسي وواقعي واجد بانساني وصحبته متع الحياة ٠٠ انه دنيايا العبقة التي تعوضني متاعب العمر ومشكلاته ٠٠ انه معي بانسانيته الرائعة وحبه الكبير ، اعيش بحمايته واهرب اليه ، انه ملاذي وامني ٠٠٠

وعشت العمر محمية في ظل الاب والحب ٠٠ هذا يمنحني الثقة وذاك الحنان وانا بينهما اميرة مترفة ٠٠ اخطائي مغفورة وزلاتي لا وجود لها ، ومتاعبي هناك من يحملها بحب وتقدير ٠٠٠ هذا يفهمني اني خلقت للشعر والحب والفن والعطاء ، وذاك ينظر الي كمثل اعلى للنساء ٠٠٠٠

وفي عام واحد فقدت الانسانين معا ، وكأن وجود الاول ضرورة لوجود الثاني ٠٠ رحل الاب الى دنيا لا يرى ولا يسمع فيها شيئا ، وتهدم صرح كبير من حياتي فلجأت الى الصرح الاخر بتعبي ودمعي وحبي وقبل ان اصله واستظل بظله تهدم هو الاخر ٠٠ صمت ٠٠ اين هو ٠٠؟ كيف اختفى ٠٠٠ من اقتلعه من ارضه ٠٠٠ اين انساني ٠٠٠ انه رجلي انا ٠٠٠ انه بيتي انا ٠٠٠ وقبل ان تصل الكلمات الى حنجرتي غمرتني اصداء موحشة ترد بصوت راعب ٠٠٠ لقد رحل ٠٠٠ رحل بعيدا ٠٠٠ سرقته المدينة الثانية ، سرقته مدينة مسحورة كل ما فيها رائع جذاب ٠٠٠ نادته فلبى النداء ٠٠٠ اخذته اليها ومنحته البيت والمكتب والسيارة والمركز المرموق والمال الوفير ٠٠٠ واغرقته بالولائم وحفلات الاستقبال والترف والرحلات ، منحته كل ما هو بحاجة اليه ٠٠ وجعلته ينس ٠٠ ينس مدينته الصغيرة وبيته الدافيء وعالمه العبق وانسانه صلبت حياتها على سعادته وانتظاره ٠٠ نسي انسانة تتلهف على رؤيته وسماع صوته ٠ انسانة تعيش في العراء لا سند لها الا حمايته ٠٠ انسانة تتعلق حياتها رهينة بسمة نظراته وهدهدة كلماته ٠٠

وقبل ان تتم زميلتي حديثها هربت مع دموعها وكلماتها المخنوقة وتركتني وبالعراء معها ٠٠٠

الفن القصصي السوري

من التألق الى الضياع

بقلم : محمد قرانيا

عبرت القصة السورية في أول نشأتها عن المحاولات الفردية والشخصية التي بذلها الرواد الاوائل في هذا الفن الادبي ٠ فحكت لنا عن تجارب أصحابها الخاصة ومشاكلهم الاجتماعية (وريثة العهود المعتمة الطويلة) ٠

ولم تلبث القصة أن لملمت بعض نفسها ٠ وبلورت شيئا من شكلها على أيدي الادباء الذين رحلوا الى البلاد الاوربية ٠ فأطلعوا هناك على جوانب الحضارة المضيئة ٠ ونهلوا من معينها حتى الثمالة ٠ ثم عادوا ليبدعوا أقاصيص يؤخذ على معظمها اهتزاز الصورة ٠ وبهتان المعالم ٠ وضياع الابعاد ٠ فقل أن نقرأ قصة لاحدهم الا ونجد فيها بعض الملامح التي تسود القصةالاوربية أو تقلدها في رسم حركات الاشخاص وتصرفاتهم الحياتية ٠ لقد كتب هؤلاء الكتاب عن المجتمع والحب والحياة ولكن كتاباتهم صورت لنا ابطالا يلهثون وراء الجنس والحب ويعيشون حياة رومانتيكية في مجتمع شرقي لا زال يجتر آثار التخلف بين جنباته ٠

ثم جاءت مرحلة الخصب بالنسبة لحقل العطاء القصصي ٠ ولعل أخصبها فترة الستينات من هذا القرن ٠ حيث ظهرت اسماء عديدة في عالم القصة ما لبثت أن اجتازت الحدود الى الدول العربية المجاورة فكان لها صدر الصحافة في القاهرة وبيروت وبغداد ٠٠

لقد خلف الاديب وراء ظهره أحداثا مضطربة على الصعيد السياسي والايدلوجي ليجد شيئا من الاستقرار والراحة بعد العناء والجهد ومرحلة الانقلابات المتلاحقة ٠

لذلك نجد أقداما ترسخت في الميدان القصصي من أبرزها الدكتور عبد السلام العجيلي ٠ وبديع حقي وفاضل السباعي وشكيب الجابري وألفت الادلبي ووداد سكاكيني واديب نحوي وهاني الراهب ٠ ومظفر سلطان وفؤاد الشايب ونسيب الاختيار ٠

كتب هؤلاء في مختلف المواضيع الاجتماعية والانسانية والوطنية وقد أولى بعضهم أحداث فلسطين وعهدالاستقلال والوحدة نصيبا وافرا من نتاجهم كما أولى البعض الاخر التجارب العاطفية وشتى منازع القلب والحب والزواج وغير ذلك من الاحداث الاجتماعية اهتماما واسعا ٠

واذا جاز لنا أن نعمم في اصدار الحكم على قصة هذه

الفترة فانه يمكننا القول بانها تتسم ـ على الغالب ـ بالصدق والعفوية • والاهتمام بالاجواء الخاصة لمجتمعنا السوري على حقيقته الصحيحة والتي هي عبارة عن مزيج من تراكمات وترسباب خلفها الماضي البائس • وتطلعات واستكشافات حضارية انسانية يصنعها مستقبل المنطقة واحداث العالم من حولها •

ولقد كان رائد هذه الفترة الكتابية الدكتور عبد السلام العجيلي وكما قال عنه عدنان بن ذريل بأنه خطا خطواته الاولى في الدرب السورية العربية للقصة الفنية البكر • وزاده ثقافة عامة ادبية وفنية ثقافة طبيب شاعر واديب تخدم المجتمع من خلال الفن الجميل •

واذا سلمنا بأن العجيلي أول رواد هذا النوع من الادب • من الناحية الفنية فان ذلك بسبب مواصلة نتاجه ومحافظته على النهج الفني الذي أختطه لادبه مع تطور ملحوظ نحو التجويد والابداع دونما انحراف باتجاه الموجات الجديدة من الحداثة والانفلات الذي بلغ لدى زملائه حدود التحلل والتلاشي •

وثمة قاص آخر • لا أدري لم أجد نفسي مشدودا لذكره عند ذكر العجيلي هو القاص فاضل السباعي • والذي يجد المتتبع لقصصه أصالة متواصلة الرفد والعطاء • ويمتلك قدرة على تحريك شخوصه ضمن عفوية محببة تحيطها هالة من رومانتيكية اللفظة الشعرية • وغنائية الموضوع الحزين • ان الارضية التي يمشي عليها ابطال السباعي منتزعة من البيئة الشعبية العربية ـ مع بعض الاضافات ـ لتعكس منازع الجيل المعاصر بالوانه المحلية الموشاة بعصرية المرحلة الراهنة • ويظهر جليا في نتاجه سعيه الحثيث لمواكبة التطور في اسلوب بديع لا يقل ـ فنية ـ عن اسلوب كبار القصصيين العالميين •

كما برز في هذه الفترة ـ أواخر الخمسينات واوائل الستينات ـ كل من حنا مينه وهاني الراهب • وقد اتسمت القصة عندهما بسمات واضحة بينة الملامح والابعاد اذ

ركز حنا مينه على قضايا المجتمع الحديث وما يعتمل في عقول ابنائه من صراعات سياسية وايديولوجية تجاوز بها حدود

القطر السوري الى الوطن العربي باكمله • بينما نجد القصة عند هاني الراهب قد اتخذت من قضايا الشباب • وهموم الطلبة • ومشاكل الجامعة • واللهاث وراء الجنس الشاغل الاول اذ جعل من هذه القضايا مجتمعة وسيلة للارتقاء بفنه القصصي • محاولا ايجاد اسلوب حديث لاستيعاب هذه الامور والتعبير عن الاهواء والمنازع المتشابكة والمتضاربة في نفوس ابناء الجيل المعاصر •

وبالاضافة الى ما قدمه العجيلي والسباعي ومينه والراهب فان الواجهة الادبية السورية لا تخلو من ادباء

يماثلونهم في العطاء والجودة على أحسن ما يكون العطاء • فشكيب الجابري رسم لوحة عاطفية رومانتيكية عن اجواء

الحب وتطلعات القلب واشواقه في رواياته وقصصه المعروفة • وكوليت خوري لونت أنهار الحب بأزاهير الادب النسائي • فتألقت بطلاتها في أيام خالدة قضينها بين أحضان من أحببن من العشاق والمحبين • وكذلك فعلت غادة السمان اذ عملت على تعرية الانثى الشرقية أمام عيون الرجل لتدل الجميع على الحقيقة •

اما زكريا تامر فهو شاعر الاقصوصة • ما أشبهه برسام أجاد فنه فاصبح يمازج الالوان باصالة وفن عميق

البعد • ثم أخذ يضرب بفرشاته ذات اليمين وذات الشمال • ليبدع لنا لوحات انسانية خالدة ضمن اطار من الشاعرية والخلق المبدع والمقدرة على تحريك الشخصيات حسب مزاج

فني خاص ترتاح اليه النفس • وتهدأ على الحدث عنده العقول والافكار • ولازالت كتاباته الغزيرة تعمل على تجميع رصيد اضافي من القراء على مدى أقطار الوطن العربي •

ولقد خاض غمار هذا البحر الادبي كل من وليد اخلاصي • وفارس زرزور ومحمد حيدر • وياسين رفاعية • ومطاع صفدي وجان الكسان وجورج سالم ومراد السباعي وعدنان الداعوق • وعلى بدور واديب النحوي وعبد العزيز هلال وانعام المسالمة وخديجة الجراح النشواتي وقمر كيلاني • وعادل ابو شنب وحيدر حيدر وممدوح عدوان • وحسيب كيالي وعبد الله عبد وابراهيم عاصي • ومحمد المجذوب وسعيد حورانية وخليل هنداوي واسكندر لوقا وانور قصيباتي ونزار مؤيد العظم وناشد سعيد • ومحمد الراشد • ومحمد الحاج حسين وعبد الغني حجازي • وجورجيت حنوش وغيرهم • وقد اعطى بعضهم بغزارة ـ مع تباين في التقدير من الناحية الفنية والادبية ـ بينما توقف البعض الاخر عن الانتاج بسبب ظروف العمل وكثرة المشاغل الوظيفية • ورغم ذلك فان ادب القصة في هذه الفترة يتميز بخصائص عامة اهمها الوضوح • وضوح القصة بمضمونها وتنوع اساليبها • هذه الاساليب التي جنحت الى الواقعية الفنية محاولة تقليد كبار الكتاب العالميين في الشرق والغرب الاوربي •••

لقد قرأ المثقف العربي نتاج هذه الفترة من القصص بشغف ومتابعة دائمة مما يسجل للفن القصصي قصب السبق على غيره من الفنون الادبية بعد أن كان الشعر يمتلك زمام

الامر٠ولا أجدني مغاليا اذا قلت بأن القصة تدمرت بعصرها الذهبي – في الحقيقة الماضية نظرا لما تواجد لها من أقلام واعية في أيدي أدباء وكتاب أجادوا فنهم حتى امتدت اصواتهم على كافة البلاد العربية ٠

. . . .

أما الحديث عن هذا الفن القصصي في فترة السبعينات هذه فانه قد يثير شعورا بالاسى والخيبة ٠ اذ تفشت في تقاطيعه وبين ثناياه كل أوهام الانسان المعاصر – وما اكثرها – من ضياع وقلق وتمرد وجري وراء الرمز والتلغيز والجنس حتى الغثيان ٠

ان قيمة كل عمل ادبي تنبع من قدرة هذا العمل على التاثير فيمن حوله ٠ ولا يمكن لاي عمل فني أن يؤثر ما لم يكن اقرب الى الكمال والاتقان ضمن معطيات ابداعية ممتازة فاذا لم تكن هذه الملامح التي يقدمها الاثر الادبي ذات ابعاد انسانية متكاملة تهتم بالانسان وتسعى الى تحسين صلته بمجتمعه وبالعالم من حوله كانت ملامح جوفاء كالزبد الذي يذهب جفاء دون أن ينفع الناس ٠

لقد اهتزت ملامح القصة السورية وقصرت الرواية عن الركب في عصر السرعة والايجاز ٠ وشمل الاجواء قلق واضطراب ٠ وشعور أخرس دفين بعدم الرضى عن الواقع المعاش وخوف مكتوم من المستقبل المجهول ٠ وظن الاديب – خاطئا – أن السعادة قد تلاشت من الوجود ٠ أو أن الدمار سيحل بالعالم ٠ وأن أيوب العصر لم يعد يحتمل صليب آلامه ٠ فابتهل الى آلهته – كما ابتهل نوح الى ربه في زمن الطوفان ٠

ولقد اجتاحت موجة المعاصرة العاتية على أيدي الشباب كل أوتاد القديم واعمدته الرخامية ونقوشه التى حاولوا اعادتها الى المتاحف ٠ ولكن كل هذا دون تثبيت أقدام البديل الجديد على المستوى الثقافي والادبي سوى بضع خطوات لها رصيد لا بأس به من الثقافة ٠

ان كاتب قصة اليوم هو البطل ٠ هذا الانسان الذي يحس بالانزلاق عن الدروب المضاءة الى الازقة العفنة ٠ بعد أن ضاعت من حسابه الازمنة ٠ ولم تعد الالفاظ إلا أنسجة لهذه الهلوسات والارتعاشات الهستيرية التي يعاني منها ابناء اليوم ٠ ومن ثم فقد البداية والنهاية لقضيته ٠ بعد أن فقد البطل هويته واصبحت القصة الحديثة – والحديثة جدا – عبارة عن الهام علوي لا يفهمه ولا يحل رموزه الا الله ٠

لقد أصبح بطل القصة هائجا ٠ يحاول جاهدا أن يفتش عن درب الخلاص في الغربة النفسية ٠ واجترار القلق العصري بعد أن نضبت من أراضيه كل ينابيع الخصب وأنهار المحبة ٠

ولكن ٠٠ الى متى تستمر هذه الازمة الادبية ؟!

ان التجديد والتطور من سنة البقاء والحياة ٠ ولا يمكن لاي متبصر في عالم الاداب أن يدعو للتقوقع والتكلس ٠ أو يقف حائلا دون مرور التيار ٠ ولكن ليكن التجديد والتطور حسب منهج مخطوط ، واضح المعالم ضمن أبعاد أخلاقية تنبع من صميم عاداتنا الاصلية وأصالتنا الاخلاقية العريقة التي تمتد عبر دروب العروبة على مدى التاريخ ٠

ان الاديب مسؤول عن مجتمعه كما هو مسؤول عن نفسه وعن التاريخ الادبي الذي يصنعه ٠ وعليه أن يخرج من نطاق العزلة النفسية واللفظية الذي أحاط بها نفسه ليواجه الجماهير التي تحب أن ترى نفسها في كتابات الادباء والبسمة مرتسمة على الثغر كما ترتسم الازهار على صفحة الربيع ٠

ان نظرة متفحصة الى القصة الحديثة تطلعنا على مدى الارهاصات الصعبة التي يبشر بها الكتاب الجدد من مراهقي الكتابة وكتاتيب الادب ، وتدلنا على ماهية المياه التي يجدفون بها ٠ ان القلق والضياع والسوداوية والهوس والجنون وباقي أمراض العصر المستوردة ليست ابناء للعبقرية ٠ ولا يمكن لهذه الصرعات أن تنتج ادبا حقا مهما أوتي أصحابها من مقدرة على اللف والدوران في متاهات مغلقة وعبر أرضية مهزوزة ٠

ولئن كانت القصة الشابة تسير فى هذه الطريق المسدودة في مرحلتها الاخيرة بعد أن خلفت وراءها براري الخصب الواسعة فهي تستعجل النهاية ٠ وما هذه الاحاجي القصصية التي يطلعون علينا بها الا غيوم صيف عن قريب تنقشع أو هي كتلك الفقاقيع التي تظهر فجأة على سطح الماء ثم لا تلبث أن تتلاشى ٠

لقد كانت القصة السورية وليدا شرعيا فى السنوات الماضية ، ولكنها فقدت شرعيتها عندما تناقلتها أقلام اتخذت من الالفاظ الضبابية الخانقة سوقا رابحة للدخول في سباق الكتابات المعدة خصيصا للاستهلاك اليومي ٠

محمد قرانيا – أريحا

أمـــل أورق

ياسين فرحاني

نعيش عـــلى أمـــل أورق ويمضي بنا العمر لا نلتقي
لقد مزق اليأس أيامنـــا وغاض الشباب، فماذا بقي؟
وكنا ، وكانت منى حبنـــا ربيعا من الفل والــزنبق
نأيت ، كأنك في عـــالم غريب ، قصي المدى ، مغلق
ترامى وراء حـــدود الدنا وغلغل في صفحـــة المطلق
يرف رفيف السراب استفاض في مقلـــة الظـامىء المرهق
يصوره خـــاطري عسجدا تـألق في رجرج الزئبـــق
ونبعـــا تدفق من كـوثر خلوب المـــذاقة والرونق
وشطـــا وثـيرا الى ظلـه يطير بأحـــلامه زورقـــي
سبيلي اليه شتيت الرؤى معالمه بعـــد ، لـم تطرق
فأغرق في الوهم ٠٠ لا أرعوي وأمعن في الغي ٠٠ لا أتقـي

* * *

أحن حنين الشراع اغتـدى فأوفى عـــلى غيهب مطبق
تشيل وتهوي بـــه لجـة هويا الى فـــاغر أشـدق
وتقذفه الريـــح أرجوحة بكفي سليب النهى ، محنق
وأنى تلفت لاح الـــردى ولـــوح بالمرعد المبـرق
فأرخى على اليم مستسلما جناحي كليل القوى ، موثق

* * *

خفرت ، واني رهين الشقا وفي ٠٠ فيا للوفي الشـقي
أظل كما شئت في وحـدتي أمينا على عهـــدي الأوثق
ويبقى هواي عفيف الخطـا طهورا كذوب الشعاع النقي
لقاؤك لا العمر : لو في يدي خيار ، لكان الـــذي أنتقي

مع الآداب العالمية

بائعة الأزهار

من روائع الادب والفن الثوري الكوري

ترجمة حامد محمود وافي

المدخل

ترتفع الستارة بعد عزف الاوركسترا
الازهار متفتحة في كل مكان ، على التلال وفي الحقول
تظهر على خشبة المسرح البطلة « قو بون » وهي تسير نازلة في طريق جبلي كثيف الضباب .

بانغتشانغ نسائي :
على التلال وفي الحقول ..
تتفتح الزهور الجميلة
في كل ربيع
ولكن .
متى تتفتح الازهار في قلوبنا المحرومة
مثل حرماننا من ارضنا ومن الربيع ؟

★ ★ ★

تتقدم قو بون وتقطف زهرة .

قو بـــون :
على التلال وفي الحقول ..
تتفتح الازهار
ولكن ،
لا شيء في قلبي غير الحزن .
كم هي جميلة هذه الازهار التي احملها
ولكن ،
هو قطرات دموع من قلبي .

بانغتشانغ نسائي :
تلك الفتاة الجميلة ..
تبيع الازهار وفي عينيها الدموع
تحكي مع ازهارها ..
قصة توجع القلوب .
فالازهار الجميلة المبللة بندى الدموع
تحكي قصة عميقة في قلبها الموجوع .
يظهر على المسرح عنوان الاوبرا « بائعة الازهار »

بانغتشانغ نسائي :
فلنستمع الى قصتها ..

قصتها المليئة بالدموع
لماذا تبيع هذه الفتاة الازهار ؟
تتسلق » قو بون » قمة الصخرة .

بانغتشانغ مختلط ؟ :
فلنسمع الى قصتها ..
قصتها المليئة بالدموع

الملاحظة : بانغتشانغ باللغة الكورية تعني « كورس « في العربية

لماذا تبيع هذه الفتاة الازهار ؟
تطفا الاضواء في المسرح

★ ★ ★

الفصل الاول

المكان : في منزل مالك الاض
الوقت : خريـف
ترفع الستارة مع غناء بانغتشانغ رجالي .
المنظر : في فناء المنزل . مالـك الارض وزوجتـه وبايك مان يقومون سويا بجمع أجور الحقل. الاجير تشول يونغ يحمل على ظهره أكياس الارز ومن خلفه بايك مان يوخزه مرة بعد اخرى .

بانغتشانغ رجالي :
نحرث الارض الملعونة ..
ونذرف دموعا من الدم .
ولكننا مكبلين دوما بالديون .
من اجل من نفلح الارض ونزرعها .
ولا نحصد غير الحزن والالم ؟

بانغتشانغ مختلط ؟ :
آه ، ما ابشع هذا العالم الذي نعيش فيه وما أظلمه
ماذا يمكننا ان نفعل ..
ونحن لا أرض لنا ولا وطن
يجرد الفلاحون من الغلال التي حصدوها بالعرق والدم .
تدخل أم « قو بون » من الباب الرئيسي وهي تحمل على ظهرهـا زكيبة أرز .
« تشول يونغ » يشاهد أنه فيصيح :

تشول يونغ : أمـــاه !
الام : هذا سيصفي في النهاية ديوننا يا تشول يونغ .
يظهر الاثر العميق في نفس « تشول يونغ لكنه لا يتفوه بكلمة .
بايك مان : سيدي . لقد احضرت ام قو بون اجر الحقل .
ان « تشول يونغ » رجل قوي كالثور فاذا تركته يذهب ...
مالك الارض : من قال : اننا نطلق سراحه ، انهـا مسالة تعتمد على مقدار الفائدة التي ستطلبها منهم . اذهب وهيا لي دوائي .
يخرج مالك الارض ومعه بايك مان .
يضع « تشول يونغ » زكيبة الارز بعيدا .
ينظر نحو مسكن الخدم حيث كان يعيش عندما كان حارسا ينقر على العمود نقرات خفيفة ويغني .
تشول يونغ : في هذه الغرفة مات ابي وهو يعمل اجيرا
وهنـــا ايضـــا ..
عشت انا ثمانية اعوام
عمري عشر سنوات جئت الى هنا ..
لاسدد قيمة كيلتين من الدخن .

الام تتابع تشول يونغ وتنظر اليه •
الام : منذ ارسلتك
لتعمل أجيرا هنا ••
طوال ثمانية اعوام • لم أذق للنوم طعما
عودتك الان الى احضاني
تهب بنسمات السعادة
الى اعماق قبر والدك المتوفي
تشول يونغ :
وحدك تربين اطفالك
حتى كسى الشيب شعرك
الام وتشول يونغ : بالحياة معا ••
نجد المتعة في كوخنا المتواضع
رغم الجوع والعري •
تدخل « قو بون » و « صون هي » معا تناديان على أخيهما •
تفيض منهما السعادة بانعتاق « تشول يونغ » •
قو بون : اليوم ، هل ذلك اليوم السعيد
الذي انتظرناه طويلا •
اليوم تحرر أخي الاكبر من قيد العبيد •
قو بون وصون هي :
اليوم اخونا الى البيت يعود
ونعيش مع امنا سعداء •
تشول يونغ وقو بون وصون هي :
نحن الاخوان الاشقاء الثلاثة
في تناسق سنعيش
مع امنا سعداء •
« يدخل مالك الارض » وزوجته ويحمل صندوقا فيه عرق (انسام) بري ،

مالك الارض : الى اين تذهبون يأبالسة ؟ اننا لم نصف حساباتنا بعد•
فالنهاية تقررها زكائب الارز هذه •
يحاول يونغ الذهاب الى مالك الاراضي ليقول له شيئا

ولكنه يتردد فيكتفي بمؤاساة امه بقوله :
تشول يونغ : اماه • اذهبي انت الى البيت قبلي
يخرج « تشول يونغ » فتتبعه « قو بون » •
الام : اذهبي انت يا « صون هي » الى البيت وانتظريني هناك •

صون هي : لا لن أذهب • انني اشعر بالجوع •

الام تحاول اقناع « صون هي » بالعودة الى البيت ، وتخرج•
يدخل بايك مان يحمل موقدا عليه اناء الدواء •
مالك الارض يخرج العرق من الصندوق •
مالك الارض : عرق الانسام هو اكسير الحياة • انه مدهش • هذا العرق سيطيل عمري ويجعلني اعيش مئة سنة اخرى •
بايك مان : انه يكلفك عشرة « صوم » (*) من الارز ولكنه مفيد حتما يمنحك شبابا ابديا وعمرا مديدا •
مالك الارض : ان عرق الانسام هذا يفسد اذا اتسخ •
فاحذر من ان تقربه ايدي الاجراء •
بايك مان وزوجة مالك الارض :
سيتناول السيد اكسير الحياة

(*) الصوم الواحد يعادل ١٢٠ كلغ تقريبا •

فلنكرس كل جهودنا لتخميره
يخرج مالك الارض وهو منتشي بالسعادة •
بايك مان يراقب الموقد ثم يخرج •
تدخل « قو بون » و « صون هي »• تختفي « قو بون » خلف منطقة سكن الخدم •
زوجة مالك الارض تراقب العناب الموضوع على الشرفة لتجف •
تدخل الغرفة وهي تمضغ عنابة •••
« صون هي » تراقب تحركات زوجة مالك الارض •••
تتسلل الى الشرفة وتقطف عنابة وتهبط الدرج مسرعة •

تعود زوجة مالك الارض وقد لاحظت ما فعلته « صون هي » فتنزل الدرج مندفعة نحوها • تنهال عليها ضربا ولكما وهي تصيح •••
« لا تضعي يدك على هذا ايتها الصغيرة القذرة » •

تسقط « صون هي » على الارض ، تصدم بالموقد فيسقط على وجهها اناء الدواء الذي يغلي فتذبل عيناها •
زوجة مالك الارض : يا الله ••• لقد فسد جذر الانسام • تشد

« صون هي » من شعرها وتهزها • يظهر مالك الارض مندفعا •
مالك الارض : يا الهي •• لقد فسد جذر الانسام
آه يا جذر انسامي البري ••

مالك الارض يهتز مرتجفا فوق « صون هي » وهي تتقلب على الارض تغطي وجهها بكلتا يديها • تندفع امها نحوها تطلب الرحمة لابنتها • ولكن دون جدوى فما زال مالك الارض وزوجته يشدان شعر « صون هي » يركلانها يضربان رأسها بالارض •
زوجة مالك الارض : ادفعوا ثمن جذر الانسام •• ادفعوا حالا ثمنه•
مالك الارض : لن احصل على ثمنه حتى ولو بعتكم انتم الاربعة •
تدخل جريا « قو بون » والعجوز هوانغ وام يونغ ران وبعض القرويين الاخرين •

مالك الارض وزوجته يخرجان وهما يطلقان صيحات الغضب
الام : صون هي •••
صون هي : جرحت عيناي يا امي • انهما يؤلمانني •
قو بون : صون هي •••
« تشول يونغ » يدخل •

تشول يونغ : صون هي ••••
صون هي : اخي • اين انت ؟
تشول يونغ : أنا هنا • الا ترينني ؟
صون هي : انا لا أرى يا اخي ••• لا أرى •••
الام وتشول يونغ وقو بون يحتضنون صون هي والحزن يمزق قلوبهم •
بانغتشانغ مختلط : آه ••••
يتجه تشول يونغ ليحمل صون هي على ظهره الى البيت •
مالك الارض : (يظهر على المسرح من جديد) عليك انت وامك أن تعملا هنا طوال حياتكما حتى تسددا قيمة جذر الانسام البري•
تشول يونغ : ماذا ؟؟
الغضب يتملك تشول يونغ تماما فيضع صون هي ويتقدم نحو مالك الارض مبحلقا في وجهه •
مالك الارض يضرب تشول يونغ بعصاه •
تشول يونغ يسدد لكمة قوية لمالك الارض تطرحه ارضا • ثم يجري تشول يونغ هاربا •

يظلم المسرح لحظات قليلة • وتبـدأ الاضاءة فيتبدل المنظر •

يظهر على خشبة المسرح طريقا جبليا في ضواحي القرية •

على البعد ترى السنة اللهب تتصاعد من منزل مالك الارض •

مع صوت بانغتشانغ الغنائي يظهر تشول يونغ مقيداً بحراسـة شرطي ومخبر •

الام وقو بون تجريان خلفه وتناديان عليه باسمه بصوت مشحون بالعواطف والشجون •

الشرطي والمخبر يضربـان الام وقو بون بكعبي بندقيتيهمـا ويطردانهما بعيداً •

بانغتشانغ : شقيقنا العزيز اعتقلوه

لانه اشعل النار في منزل مالك الارض القذر

وعندما اخذوه بعيدا

تاركا خلفه اخته العمياء ••

لقد بكاه الجميع ، حتى الارض والسماء ،

بانغتشانغ مختلط : عندما جروه موثوق اليدين بعيدا بكت له السماء •• بكت له الارض ••

قو بون : اخي •••

الام : (وهي تتسلق التل لاهثة الانفاس) تشول يونغ ••

قو بون تضرب الارض برجلها غاضبة • الام تحتضن قو بون •

الام : في اللحظة التي انتهت فيها عبوديته

القوا به في السجن ••

يا لها من ماساة

كيف استطيع الحياة في هذا العالم المؤلم ••

زوجي توفي وابني سجين • وابنتي عمياء ؟

قو بون : كان بودنا ان نعيش معا ••

•• لقد كان متالما ••

فالى اين ذهب قبل ان يعود الى الدار ؟؟

بانغتشانغ رجالي : الام تعاني المأساة ••

فكيف تعيش • يا ترى • الان ؟؟؟

★ ★ ★

تطفا الاضواء في المسرح

يواصل بانغتشانغ الغناء •

تضاء الانوار قليلا ، فتظهر الام واقفة فوق التل تمسك بيدهـا ابنتها صون هي •

تختفي الام وتبقى صون هي في مكانها على التل •

بانغتشانغ نسائي : طوال ست سنوات ، الثلوج تتساقط على الارض •

عملت الام اجيرة في مكان إبنها السجين ••

وبالرغم من تساقط الثلوج وهطول الامطار ••

بالرغم من تفتح الازهار ••

ظلت حياتها الشاقة كما هي لم تتغير •

الفصل الثاني

المشهد الاول :

المنظر : في منزل قو بون
الوقت : الصباح الباكر بعد مضي ست سنوات

★ ★ ★

بانغتشانغ نسائي : ست سنوات طوال قد انقضت ،
لكنها لا تزال تعيش في عالم الظلام ،
وطوال هذه السنوات الست ••
تشرق الشمس كل صباح ••
لكنها لم تر اشعة الشمس قط

تظهر صون هي •

صون هي : في منزل مالك الارض امي تعمل
والى الجبل اليوم ••
مرة اخرى اختي ترحل
تركني الجميع في المنزل الخاوي وحدي
اشعر بالعزلة •• اشعر بالجوع يعض كبدي •

القرويون في طريقهم الى الحقول عبر الطريـق الجبلي يلقون نظرة عطف وحنان على صون هي •

صون هي تنصت لصوت الناس القادمين • وعندما مر الناس بعيدا عنها عادت صون هي تجري نحو شجرة غونغهوا

صون هي : (تتلمس اوراق شـجرة الموغونغهوا) آه يـا عزيزتي موغونغهوا انك تحملين الان قدرا كبيرا من الاوراق •

تسبح صون هي بعيدا مع الذكريات وتغني ••

صون هي : منذ ست سنوات مضت ••
زرعنا ، انا واخي واختي الاحباء ••
هذه الشجرة المزهرة ••
وكانت السعادة تغمرنا جميعا •

بانغتشانغ نسائي : شجرة الموغونغهوا الان اطـول مني ولكن اخـي العزيز لم يعد •

تقف صون هي لتقيس طولها بطول الشجرة المزهرة •

تدخل قو بون تحمل معها الحطب والازهار • تضع الحطب •

قو بون : صون هي •••

صون هي : اختي •••

قو بون تنظر شجرة الموغونغهوا

قو بون وصون هي : باشتياق لاخينا العزيز •••
نربي هذه الشجرة صباح مساء بكل الجهود ونحن على يقين ••
انه هناك خلف القضبان الحديدية •
يفكر فينا ونحن في البيت •

صون هي : اختاه • كم سنة يجب ان نقضيها في انتظار عودته ؟

بعد لحظة من التردد تجيب « قو بون » على سؤال صون هي مهدئة•

قو بون : سيعود قريبا •

صون هي : حتى عندما يعود • لا أستطيع ان أرى وجهه •

« قو بون » تحتضن اختها في أسف وحزن لحالها •

قو بو ن: شقيقتي المسكينة العمياء ••
في هوة الظلام تعيش
لا تستطيع ان ترى وجهي ولا ترى الازهار
فقلبي عليها يتمزق أربا

صون هي : اختي تضمني الى حضنها ليل نهار
ليتني استطيع ولو مرة رؤية وجهها •
قو بون وصون هي : امنا تعمل لمالك الارض في منزله
انها • ولا شك • في ظروف صعبة تعيش •
« قو بون » تضم « صون هي » الى صدرها وتقودها ،
والدموع تتقاطر من عينيها ، الى الطنف •
بانغتشانغ : الام تكدح طوال ست سنوات
فاعتراها الكبر وشاخت وسقطت مريضة •
تعيش الام وطفلتاها في نفس القرية
لكنهن محرومات من العيش تحت سقف واحد
قو بون : عزيزتي صون • أنا ذاهبة لابيع الازهار فاياك ان تخرجي
ابقي هنا في البيت •
صون هي : ساذهب الى امي • لماذا لم تات امي الي ولو مرة ؟
في اللحظة التي تهم فيها « قو بون » بالخروج حاملة سلة لتبيع
ما فيها من ازهار يظهر على المسرح العجوز هوانغ وام يونغ ران
يسندان أم قو بون •
العجوز هوانغ : قو بون
قو بون : جدي • ماذا حدث لامي ؟
العجوز هوانغ : كانت تقوم بالغسيل في منزل مالك الارض فاغمي عليها
منهارة القوى •••
أم يونغ ران : يداها مثلجة •••• اسرعي واغلي قليلا من الماء •
الجميع يساعدون الام على الجلوس في الفرندا •
أم يونغ ران تقول :
« ساذهب لاصنع لها عصيدة ساخنة » ثم تخرج •
يتبعها العجوز هوانغ •
تخرج « قو بون » تحمل جرة لتحضر فيها الماء •
الام تحتضن صون هي الى صدرها وتربت على راسها وتغني :
الام : السحب السوداء تتجمع • والبرق يبرق
فكيف نواصل الحياة يا بناتي ؟
الان سقطت امكما فريسة بين مخالب المرض
فكيف تستطيعان الحياة في هذا العالم القاسي
قو بون تحضر من البئر • الام تحتضن بنتيها •
بانغتشانغ نسائي : قد عشت ليس حبا في الحياة
وليس لانني أخاف الموت ••
بل عشت من اجلكما فقط يا احبتي ••
الام تحاول قسرا ان تبقى على قيد الحياة •

★ ★ ★

يظهر مالك الارض يقوده بايك مان • مالك الارض يركب عربة يد
يجرها العجوز هوانغ •
بايك مان : هاي • يجب ان تحلي يا قوبون محل امك وتعملي منذ
اليوم من اجل سيدي •
الذهول يصيب « قو بون »
قو بون : يا للظلم لماذا علينا ان ندفع ديونا ضخمة جدا ؟
« مالك الارض يفتح دفتر حساباته »
مالك الارض : ساجمع لك الحساب :
قبل ثلاث سنوات مضت استعرتم مني ثلاث كيلات ارز • ومع
الفائدة أصبح المجموع الان ١٠ كيلات ارز •
مالك الارض وبايك مان : اقرضناكم ما مجموعه خمسة ونات فقيمة
الفائدة الان ٤٠ ون •
مالك الارض : يجب ان تدفعوا ٣ ونات و١٥ تشون بما في ذلك الفائدة
على جرة الماء التي كسرتها امك • وعليكم ان تدفعوا ايضا
٨ ونات و ٩٠ تشونا ايجارا للمصباح الزيتي الذي استخدمته امك
في غرفتها طوال هذه السنوات الست وهذه القيمة لا تتضمن
الفائدة •
مالك الارض وبايك مان : لم نحاسبكم على قيمة الطعام الذي أكلته
أمك طوال فترة عبوديتها • وعليكم لا يزال ان تدفعوا مئة ون
قيمة جذر الانسام البري •
ثم ماذا حول التخريب الذي سببه تشول يونغ عندما احرق المنزل؟
كل هذا وما زلت ترفضين العمل من أجلي ؟
الام : اذا انا واصلت العمل كعبدة • ستنتهي المشكلة •
مالك الارض : انك لا تستطيعين حتى البقاء • فاخرسي وارسلي
قو بون لتعمل مكانك هناك •
الام : رحمة بنا يا سيدي •
مالك الارض : اذن • ادفعوا ديونكم فورا • لقد قلتم انكم لن تصفوا
ديونكم معي ولن تعملوا من اجلي • حسنا • ساحطم هذا الكوخ
البالي على رؤوسكم •
« مالك الارض يحطم بعض اواني المنزل ويخلع باب المطبخ » •
مالك الارض : (يتحدث الى بايك مان) انهم يتصرفون هكذا لان بطونهم
ما زالت ملأى • خذ منهم الاناء الذي يطبخون فيه لكي لا يجدوا حتى
الماء الساخن ليشربوه •

★ ★ ★

بايك مان يدخل الى المطبخ ثم يخرج منه وهو يحمل اناء الطبخ •
تمسك قو بون باناء الطبخ وتتوسل اليه تطلب منه الرحمة •
قو بون : ارجوك ان تعيد الاناء الى مكانه وساكون اجيرتكم في الحقل•
مالك الارض يومىء باشارة الى بايك مان فيعيد بايك مان الاناء الى
قو بون متظاهرا بالتعفف • يخرج مالك الارض وبايك مان •

★ ★ ★

الام : قو بون
قو بون : نعم امي
الام : كيف نستطيع الحياة في هذا العالم المؤلم ؟
قو بون : لا تنزعجي اماه •• ساكون خادمته • ساذهب الى منزل
مالك الارض بدلا عنك •
الام : كيف اتركك تعملين اجيرة وانا ما زلت على قيد الحياة ؟ افضل
أن نقتل انفسنا ولا اراك تعملين اجيرة •
الام تتارجح على اقدامها وهي تحاول الذهاب الى منزل مالك
الارض • قو بون وصون هي تمسكان بها • الام تحاول الذهاب الى
منزل مالك الارض مهما كان الثمن من اجل بنتيها ولكنها
لا تستطيع •
قو بون وصون هي تساعدان امهما في الدخول الى الغرفة •
بعد قليل تخرج قو بون من الغرفة تحمل حزمة صغيرة ثم تستند
الى عمود تذرف دمعا سخيا •
صون هي تاتي خارجة من الغرفة وهي تنشج بالبكاء •
صون هي : إختاه
قو بون : صون هي
« قو بون تحتضن صون هي وتغني » :
قو بون : عليك ان ترعي امنا المريضة
بعد ست سنوات من الاستعباد ••
سقطت امنا مريضة

الحياة دون امنا ، نحن لا نستطيعها
اختاه ، اهتمي بها جيدا ٠
غناء رجالي فردي مصحوب بالبانغتشانغ :
متى ظهرت الثروة في هذا العالم ؟
متى ظهر اجراء الحقل في هذا العالم ؟
بانغتشانغ مختلط : أينبغي ان يعمل الاب والام ٠٠
الابن والابنة اجراء في الحقل ٠٠
حتى آخر أيامهم ؟
اثناء غناء بانغتشانغ تغادر قو بون وهي تبكي منزلها متوجهة الى منزل مالك الارض لتعمل عنده كاجيرة في حقله ٠
صون هي تصعد التل باكية تنادي اختها بصوت ناحب ٠
الام تفتح الباب وتحاول في غير جدوى الخروج ٠
لكنها لا تستطيع التحرك ٠
تطفأ الاضواء في المسرح

★ ★ ★

المشهد الثاني :

في منزل مالك الارض

★ ★ ★

عندما تبدأ الاضاءة في المسرح نشاهد هلالا قمريا في سماء المسرح قو بون تدير الرحى في فناء المنزل امام المنطقة السكنية للعبيد٠ العجوز هوانغ وام يونغ ران وآخرون ينهمكون في التحضير لحفل تذكاري يقيمه مالك الارض ٠

بانغتشانغ رجالي : هذا المساء ٠ يتصاعد مرة اخرى ٠٠
صوت موحش قادم من مساكن العبيد ٠
مساكن العبيد التي لا تشتهيها النفس
الحزن والاسى هو صوت الرحى
تديره الفتاة بدلا عن امها ٠

زوجة مالك الارض تحث قو بون على ادارة الرحى بسرعة اكثر ٠ قو بون تخرج لتحضر قمحا تطحنه ٠ تظهر الام قادمة وهي تكاد تسقط في مشيتها ٠ تجلس الام تدير الرحى مكان ابنتها ٠ في طريقها للخروج يصادف ان تلاحظ ام يونغ ران ان الام قد عادت للعمل فتذهب اليها تحثها على العودة الى البيت وتعاتبها على المجيء الى هنا ٠

الام : لا يمكن ٠ حتى لو تحولت الى حجر ٠
ان اسمح لابنتي بالعمل كعبدة ٠٠
يمكنني ان اتحمل كل الصعاب ٠
ولكن يؤلمني جدا أن تصبح ابنتي عبدة ٠

تظهر قو بون على المسرح من جديد ٠ في اللحظة التي تريد قو بون اخذ امها بمساعدة ام يونغ ران الى مساكن العبيد ٠ يسمع صوت مالك الارض ٠ (نظفي طاولة الطعام يا قو بون) ٠ تذهب قو بون باستياء الى داخل المنزل الرئيسي ٠ تبقى أم يونغ ران تساعد ام قو بون في الذهاب الى مساكن العبيد ٠

تظهر قو بون وهي خارجة من غرفة الجلوس تجر معها طاولة الطعام ٠ يظهر مالك الارض ورجل متوسط العمر ٠

مالك الارض : اعملي بجد واجتهاد وانا ساكافئك ٠
يحدث ان تشاهد زوجة مالك الارض هذا المشهد فتتغير لون وجهها٠

زوجة مالك الارض : من طلب منك المجيء الى غرفة الجلوس ؟ عودي الى الرحى بسرعة ٠

« تخرج قو بون تحمل معها طاولة الطعام »

زوجة مالك الارض : لماذا تنادي هذه الصغيرة الخليعة الفاجرة الى غرفة الجلوس ؟

مالك الارض : آه ٠ الى الجحيم ! هل تشعرين بالغيرة وانت في مثل هذا السن ؟ اسكتي ٠ اسكتي ٠

« يخرج مالك الارض » ٠

لا تزال زوجة مالك الارض غاضبة ٠ تظهر قو بون تضرب على الغربال ٠

زوجة مالك الارض : انك تحطمين الغربال ايتها الفاجرة ٠
كما انك لم تنتهي من الطحين بعد ٠ ماذا تفعلين في هذه الارض ؟
زوجة مالك الارض تقرص قو بون من خدها بعنف وقسوة وتمسك بها وتهزها من شعرها ثم تضربها بقبضتها ٠

زوجة مالك الارض : يا لك من فاجرة ! لقد جئت اليوم فقط الى هنا ولكنك لا تعملين باخلاص ٠ انك جميلة فاجرة ٠

تندفع الام نحو زوجة مالك الارض وتطلب منها ان تضربها هي ولا تضرب ابنتها ٠

زوجة مالك الارض تدفع عنها الام المريضة بوحشية وقسوة ٠ تسقط الام على الارض فتغادر زوجة مالك الارض المكان ٠
قو بون تجري امها وتحضنها ٠ الاثنتان تبكيان ٠
الاوكسترا تبدأ العزف ٠
الام تواصل عملها في الرحى ٠ قو بون تمسك ايضا بمقبض الرحى مع امها ٠
الام والابنة تديران الرحى والدموع تتقاطر من عيونهما ٠

بانغتشانغ نسائي :
دوري ٠٠ دوري يا رحى
واحملي معك احزاني
بالدموع يديرن الرحى
وفي القلب يتاجج الحقد والثار
وتدور الرحى ٠٠ وتدور
تحمل معها الاحزان والظلام ٠
قو بون : الزمن يدور ويدور ٠
كدوران الرحى ثم يطير سريعا
قو بون والام : كلما الليل المظلم يتقدم
نلقى اسوأ معاملة
فمتى نتحرر من العبودية ؟

قو بون تذهب الى الداخل ٠ تحاول الام ان تحمل آنية الطحين ولكنها تسقط في وسط الفناء فيندلق ما في الآنية من طحين ٠ يظهر مالك الارض ويشاهد هذا المنظر ٠

مالك الارض : ايتها الفاجرة البليدة لماذا تدلقين الطحين ؟ انه للحفل٠

مالك الارض يركل الام بوحشية ويثير ضجيجا عاليا ٠
تاتي قو بون لتساعد امها على النهوض وتطلب لها الرحمة ٠

تندفع الى المكان زوجة مالك الارض وبايك مان وهوانغ والنساء٠

مالك الارض : طالما انك افسدت ما سنقدمه من قرابين الى اجدادنا ٠ فعليك ان تدفعي ثمن جريمتك الخطيرة هذه ٠

بايك مان ومالك الارض وزوجته : احضري المزيد من الغلة من المخزن وستدفعين ثمنه فيما بعد بفوائد ٠
تذهب قو بون والدموع تتساقط من عينيها لتاخذ امها الى البيت٠ في هذه اللحظة تصيح فيها زوجة مالك الارض :

زوجة مالك الارض : الى الجحيم الى اين تذهبين ؟ اذهبي ودفيء الغرفة في الحال ٠

بايك مان يدفع قو بون ٠ تذهب قو بون الى الداخل وهي تنشج بالبكاء ٠ يخرج العجوز هوانـــغ وام يونـغ ران وهما يسندان أم قو بون ٠

زوجة مالك الارض : (تنظر الى الاتجاه الذي أختفت فيـــه قو بون) آه ٠ كم أبغض وأكره هذه الفاجرة ٠

زوجة مالك الارض تهمس للرجل المتوسط العمر وتطلب منه أن يبيع قو بون في اي مكان ثم تدخل المنزل ٠

تسمعها قو بون فتصعق ٠

يظهر العجوز هوانغ وقد عاد بعد ان اوصل ام قو بون الى بيتها٠

العجوز هوانغ : يا قو بون !

قو بون : كيف حال امي ؟

العجوز هوانغ : يا قو بون اخشى ان لا تعيش امك طويلا

قو بون : ماذا ؟؟

العجوز هوانغ : الا اذا استطعنا الحصول على بعض الدواء ٠

يخرج العجوز هوانغ وهو يردد هذه الجملة الاخيرة ٠

تتاهب قو بون للخروج ولكن بايك مان يقبض عليها ٠

بايك مان : الى اين انت ذاهبة ؟ استمري في عملك ٠

بالرغم من توسلات قو بون ٠ يغلق بايك مان الباب امامها بلا شفقة ولا رحمة ٠

قو بون تبكي بشدة وتضرب بقبضتها ضربا عنيفا على الباب المغلق٠

تصاب قو بون بقلق شديد فتستند الى الحائط ٠

قو بون : السور العالي يعترض طريقي
والمدخل بلا رحمة مغلق
لمن أذهب ٠ قل لي ٠ واحكي ماساتي المحزنة
من ذا في هذا العالم يفهم ألمي ٠٠

بانغتشانغ نسائي :
ايها القمر اشعتك التي ترسلها
كئيبة حقا
هل تعرف يا قمر مصيرنا المشئوم ؟
الاحزان تزورنا ٠٠٠
حزنا بعد حزن
والاكثر من ذلك يا قمر ٠٠
سوء المعاملة والذل والاهانة ٠
ضوء القمــــر يعتـــم

★ ★ ★

قو بون : حتى القمر لا يرحــم
الظلام يتجمع في الفناء اللعين

قو بون وبانغتشانغ نسائي :
ساعمل أجيرة هنا نهارا

وأبيع الازهار ليــلا
حتى أساعد أمي على الشفاء
هكذا تقرر قو بون شيئا في ذهنها

★ ★ ★

تنطفيء الاضواء في المسرح

الفصل الثالث

المشهد الاول :

الوقت : ليلا
المكان : مركز للملاهي
تظهر قو بون على المسرح وهي تبيع الازهار بينما يغني بانغتشانغ « اشتروا الازهار »

بانغتشانغ نسائي :

اشتروا الازهار ٠٠ اشتروا الازهار ٠٠
جميلة حمراء ازهاري
جميلة حمراء عاطــرة
ازهـــاري
اشتروا الازهار ٠٠ اشتروا الازهار ٠٠
حمراء ازهـــاري
لها كل حبي واهتمامي

ابيعها لاشتري الدواء لامي المريضة ٠

امرأتان وبانغتشانغ نسائي :

براعم الاضاليا الجميلة

في أسفل الجبل تتفتح
أزهار المشمش الزعفراني القرنفلي

في اسفل الجبل تنمو

بانغتشانغ نسائي :
اشتروا الازهار ٠٠ اشتروا الازهار ٠٠ ازهاري
الربيع يدخل حتى الى القلب الموجوع

★ ★ ★

تحاول قو بون بيع الازهار بمشقة ولكن لا احد يشتري منهـــا ٠ مخمور ياخذ حزمة من الازهار من قو بون ويذهب مترنحا بعيدا

دون ان يدفع لها ٠ تفشل قو بون في الحصول على النقود منـــه فتعود تتجول حول المكان سيدات متانقات يشترين الازهار ويدفعن النقود الى قو بون ٠

العجوز هوانغ يجر عربة ركوب يدوية « الرقشا » الى امام احد البارات ثم ينصرف ٠

يظهر في المكان بعض اليابانيين ٠

رجل : هاي ٠ اعطني باقة ازهار ٠

قو بون تناوله باقة ازهار٠يتناولها الرجل ويقدمها الى سيدة تقف الى جواره ٠ تبتهج السيدة أولا ٠ ولكنها ما ان ترى قو بون حتى تقطب جبينها وتعبس ٠

المرأة : لا ٠ لا تشتري هذه الازهار ياحبيبي ٠

الرجل : لمـــاذا ؟؟

المرأة : كم هي قذرة ٠ أتشتري الازهار من متسولة ؟

الرجل يرمي بالازهار على وجه قو بون ٠ اليابانيون ينصرفــون وهم يضحكون ٠

قو بون تقف مشدوهة بلا حراك ٠

بانغتشانغ رجالي :

تشتري أم لا تشتري أنت حر
لكن كيف تجرؤ على الازدراء بها ؟
فتاة أكثر جمالا من الازهار
لكنها بالية الثياب
قالوا عنها متسولة

قو بون : يرشقون الفقير بالشتائم المرة
من المؤلم جدا ٠٠
يقولون عني فتاة قذرة
لكن من اجـــل أمـــي ٠٠
أتحمل المعاملة السيئة وكل اهانة ٠
بانغتشانغ رجالي :
تكبت دموع الدم في قلبها
وتبيع الازهار لتنقذ أمهـــا

تحاول قو بون بيع الازهار وهي تكفكف دموعها ولكن
لا أحد يشتري ٠

يظهر ع لى المسرح رجال الشرطة يطردون الناس من المكان ٠
سيد محترم أنيق والى جانبه فتاة تبدو انها ابنته ٠
يخرجان من « صيدلية تشانغسانيغ »
يحملان أدوية في أكياس صغيرة من الورق ٠
يتبادلان كلمات الوداع مع الطبيب الصيدلي ويذهبان ٠

قو بون تتضرع الى الطبيب الصيدلي ترجوه المساعدة ٠
قو بون : دكتور ٠ أريد ان احصل على بعض الادوية لامي المريضة٠

الطبيب يتاثر ٠
قو بون : ابيع الازهار ٠٠ زهرة زهرة
ابيع الازهار ٠٠ زهرة زهرة
لكني لم احصل على ما يكفي من نقود
ارجوك اعطني بعض الادوية
والازهار احضرها لك صباح مساء ٠

الصيدلي الطبيب : بالازهار لا تستطيعين الحياة في هذا العالم ٠
يدخل الطبيب الصيدلي الى صيدليته متنهدا بصورة تشير الى انه
لا يستطيع مساعدتها ٠
تحملق قو بون في اللافتة « صيدلية تشانغسانيغ » لحظة قبل ان
تغادر المكان مستاءة ٠
بانغتشانغ نسائي :

هذا العالم المتجمد لا يريد الازهار

فمتى تتفتح الازهار على هذه الارض ؟
الليل الصامت يتعمق ٠٠
الفتاة وحيدة لا تزال
تحمل الازهـــار ٠

يظهر لص يحمل بعض المسروقات التي سرقها من احد المنازل وهو
يجري تجاه قو بون ٠ قو بون ترتعد خوفا فتسقط سلة الازهـــار

من يدها ٠ اللص يجري مسرعا جدا ٠ تسقط من خلفه قطعـــة
قماش ٠ قو بون تجمع في سلتها الازهار المتبعثرة على الارض ٠
في هذه اللحظة ياتي الشخص ضحية اللص مطادرا اللص فيجـد

قطعة من ممتلكاته المسروقة ملقـــاة على الارض ٠ يقبض هـــذا
الشخص على قو بون من ياقة قميصها ٠

قو بون : لا ٠ أنا أبيع الازهار ٠

ضحية اللص : تبيعين الازهار ! هيا بنا الى مركز الشرطة ٠

الشخص ضحية اللص يدفع قو بون من خصرها ٠
ترفض قو بون وتقاومه فيصفعها على خدها ٠
الناس يتجمعون في المكان ٠

بانغتشانغ مختلط :

الفتاة الفقيرة تبيع الازهار من اجل امها
لكنهم اتهموها بالسرقة
فالى من ، في هذا العالم البغيض ،
تتجه هذه الفتاة للمساعدة ؟

الطبيب الصيدلي يشاهد المنظر فيتملكه العطف على قو بون ٠
العجوز هوانغ الذيجاء بمالك الارض على الرقشا يشاهد قو بون٠
العجوز هوانغ : لماذا ؟ انت قو بون ٠
قو بون : جداه ، قل لهم ارجوك ، انا لم أسرق أي شيء ٠
العجوز هوانغ : (لضحية اللص) اسمعني ، هذه الفتاة لا ولن تسرق
حتى ولو سقطت السماء ، انها تبيع فقط الازهار لتحصل عـلى
الدواء لامها المريضة ٠
الناس ينفضون عن المكان ٠
ضحية اللص يقف متاثرا ثم ينصرف يبحث عن اللص ٠
العجوز هوانغ يحتضن في ألم الفتاة الباكية ويغني :

العجوز هوانغ :

في حياته عمل والدك معي كاجير
وهو على فراش الموت اوصاني ٠٠٠
ان ارعاك ٠٠٠

لكني فشلت في مساعدتك على شراء الدواء لامك
والان يتهمونك زورا بالسرقة ٠
يظهر الطبيب الصيدلي في حالة من قرر شيئا
يخرج مالك الارض والوسيط من البـــار فيجدان قو بون ٠
مالك الارض : ماذا تفعلين هنا يا فاجرة ؟ اتبيعين الازهار بدلا مـــن
اداء عملك ؟

قو بون : معذرة سيدي ٠ امي مريضة جدا ٠ لقد أديت كل عملي اليوم٠
فانا ابيع الازهار ليلا بعد انتهائي من العمل لاحصل على الدواء ٠
مالك الارض : ماذا ؟ دواء ؟ لا تهذي ٠ (يتحدث الى الوسيط) خذ هذه
الفاجرة الى وكالة تجنيد النساجين وبعها هناك ٠
يبتهج الوسيط فيقول : « كان عليك ان تقول هذا منذ زمـــان
بعيـــــد » ٠

قو بون : رحماك يا سيدي !
مالك الارض : أوه ! اخرسي

مالك الارض يرمي الازهار بعيدا ويضرب قو بون ٠ قو بون تجثو
على الارض وتبكي ٠ مالك الارض يتسلم نقودا من الوسيط ثم
يركب الرقشا التي يجرها العجوز هوانغ ٠ الوسيط يتقدم نحو
قو بون ٠

الوسيط : لا حاجة بك للبكاء • لن تكوني الوحيدة هناك • ستغادرين
بالقطار صباح غد فعودي الى المنزل وجهزي نفسك وانتظري •
الوسيط يدخل مكتبه • تظهر على الباب لافتة تقول
« مطلوب نساجين » •
بانغتشانغ نسائي :
مسكينة قو بون ••
يا له من عبء ثقيل عليك ان تتحمليه
متى سمح ببيع البشر في هذا العالم البارد •
العالم الذي لا يرحم ؟
ياتي الطبيب خارجا يحمل الدواء يقدمه الى قو بون
الطبيب : قلت : بالازهار لا تستطيعين الحياة في هذا العالم
وقلبك اكثر جمالا من اية زهرة
ولكن كل ما استطيع مساعدتك به ••
هو ان اعطيك هذا الدواء لامك
بانغتشانغ رجالي :
قالوا : بالازهار لا تستطيعين الحياة في هذا العالم
لكن قلبك اكثر جمالا من أية زهرة •
عند استلامها كيس الورق الصغير الذي يحوي بداخله الدواء •
تركع قو بون امام الطبيب باكية • الطبيب يطلب منها وهو
يصلح لها سلة الازهار ان تعود الى المنزل بسرعة •
الاضواء تطفا في المسرح

★ ★ ★

المشهد الثاني :

في الطريق الى البيت ليلا •
القمر المكتمل يرسل اشعته وضاءة •
تظهر قو بون تحمل كيس الدواء وتتطلع الى القمر •
حوريات القمر يرقصن وكانهن يعبرن عن مرجل الالام
الذي يغلي في صدر قو بون •

قو بون : قطرات الندى على اوراق الزهرات تتلالا
هل هي دموعي تنساب ؟
القمر الساطع يلمع في السماء
ولكني في عالم الظلام هذا ••••
لا أعرف الى اين اذهب •

الصورة الخلفية : نساء ميسورات الحال يتمتعن بالتارجح تحت
ضياء القمر المكتمل • ضحكاتهن الرنانة مسموعة •
تنظر اليهن قو بون شاردة الذهن •
بانغتشانغ نسائي :
القمر واحد ذلك الذي ••
يتالق مشرقا يسطع في السماء
لكن يختلف الناس الذين يتطلعون اليه من تحت ••
بعضهم في سعادة يتطلعون الى القمر
بينما البعض الاخر في اكتئاب حزين •
تحت ضوء القمر تتمايل وتتارجح الحوريات يحطن بقو بون •

قو بون : ايها القمر ••
يا قمرا ساطعا لا تغرب ••
ماذا افعل عندما تختفي يا قمر ؟
عندي احبة اعزهم •• والا ••

كنت ذهبت بعيدا يا قمر ••

بعيدا الى أي مكان •

أو كنت القيت بنفسي في اليم •
بانغتشانغ نسائي :
ولكـــن •••
ماذا سيكون الحال ••
امـــي المتوجعة •
واختي الصغيرة المسكينة العمياء ؟
قو بون تغادر المنزل وهي سابحة في تفكير عميق •
تطفأ الاضواء في المسرح

★ ★ ★

المشهد الثالث :

في منز ل قو بون • في الصباح الباكر
في اللحظة التي تبدأ فيها اضاءة المسرح ، يظهر دخان رفيـــع
يتصاعد من المدخنة • قو بون تغلي الدواء في الفناء •
بانغتشانغ نسائي :
عند سفح الجبل ••
الضباب في دورانه ينساب هادئا •
الام والاخت الصغيرة ••
في النوم العميق يغطان
لكنها ••
أمضت مع العذاب في قلبها ••
ليلا طويلا دون نوم ••

★ ★ ★

قو بون : اختاه • هل أنا عمياء ••
نجوم الصباح من السماء قد اختفت
ها قر حان وقت الرحيل ••
ولكن ••
ماذا سيحدث لاسرتي بعد الرحيل ؟
بانغتشانغ نسائي :
يا طيور الجبل ••
بمجيء الفجر لا تتعجلي
فانا سارحل مكرهة مع ظهور النهار
صونهي تاتي من داخل الغرفة
قوبون : صونهي
صون هي : اختاه
قو بون : لقد أحضرت الدواء يا صون هي
صون هي : دواء •• من أين حصلت على النقود ؟
قو بون : فشلت في الحصول على ما يكفي من نقود من بيع الازهار •
ولكن طبيبا عطف واعطاني بعض الادوية •
صون هي : أوه ! يا لحسن الحظ •
(صون هي ترقص فرحا وتمسك اختها من خصرها) •
صون هي : براعم الاضاليا تتفتح الفا بعد الف
وكل برعمة مشحونة باخلاص اختي العميق
من اجل أمي •
آه ! اخلاصنا يتفتح مثل تفتح الازهار •
عند ملاحظة ابتهاج وفرحة صون هي ، تمسح قو بون دموعها بهدوء

حتى لا تحس بها أختها الصغيرة •

صون هي : اخلاصنا يمكن أن نراه في كل زهرة مشمش
أمي ستشفى عندما تتناول هذا الدواء
آه ستتفتح في بيتنا زهرات السعادة
الام تفتح باب الغرفة وتسأل : « هل عادت قو بون ؟ »
قو بون : أماه قد أحضرت الدواء ٠
الام : دواء ؟

قو بون تذهب الى امها تحمل معها سلطانية الدواء ٠
قو بون : أماه ٠٠ تناولي يا أماه هذا الدواء أرجوك
أرجوك يا اماه تقبلي اخلاص ابنتك المتواضع
انت يا اماه سنوات طويلة من المشقات قد عانيت فارجوك أن تتناولي هذا الدواء لتعيشي طويلا ٠

الام : اخلاصك هو الذي يشفي مرضي
فلنكبت أحزاننا ونعيش ونعيش معا
لماذا نسكب الدمع الغزير الى الابد ؟
حتى الفروع اليابسة ستتفتح في يوم من الايام ٠

★ ★ ★

قو بون لا تتمالك نفسها فتنتحب بالبكاء ٠
الام : ماذا أصابك يا قو بون ؟
قو بون : (تمسح دموعها) لا شيء
في الوقت الذي تذهب فيه قو بون لتحضر لامها الدواء يظهر مالك الارض ومعه بايك مان والوسيط ٠
مالك الارض : حسنا ٠ فلنذهب الآن يا قو بون ٠
الام : ماذا في الامر يا سيدي ؟
مالك الارض : لقد بعت قو بون لتدفعي من ثمنها ما عليكم من ديون لي ٠
تصعق الام فتجذب قو بون الى جانبها ٠ الام والابنة تحتضن كل منهما الآخر وتبكيان ٠
الام : ماذا تعني ؟ ماذا تعني ؟٠٠
أي شيء على هذه الارض تعني عبارة بعت قو بون ٠
ما فائدة الحياة من بعدها ٠٠
لن تذهب ٠٠ لن تتركنا خلفها ٠
يحاول مالك الارض وبايك مان والوسيط ابعاد الام بالقوة عن قو بون ٠
الام وقو بون تحاولان التشبث والتعلق ببعضهما ٠
ولكن تؤخذ قو بون بعيدا ٠
مالك الارض بلطم الام التي اندفعت نحوه تتوسل ٠
الام تسقط على الارض ٠
الام : قو بون ٠٠٠

بمجرد ما ترى قو بون امها تهوي على الارض وتنادي عليهـــا ٠ تخلص نفسها من الاوغاد وتندفع نحو امها تمسك بها وتحاول أن تعيد اليها وعيها ٠
قو بون : امـــــاه
بمشاهدة الام تلفظ آخر انفاسها ينسحب مالك الارض وبايك مان والوسيط متسللين الى الخارج ٠
الام تتحدث بصعوبة بالغة ٠
الام : انني اموت يا قو بون قبل أن أرى اخاك ٠

الام تمــوت

قو بون : امـــاه ٠٠٠ امـــاه ٠٠
صون هي : اماه ٠٠ لماذا تموتين يا امي ٠٠ لماذا ؟٠٠

بانغتشانغ مختلط :
آه ٠ ٠ ٠ ٠
أم يونغ رانغ تندفع الى الداخل ٠ وفي الحال يتجمع القرويون ٠

قو بون : لماذا تموتين يا اماه
تتركين خلفك صون هي العمياء ؟٠
بالرغم من كل اخلاصي لماذا تتركيني يا اماه ؟

صون هي : من سيساعدنا ٠٠
من سيرعاني ضريرة أنا ؟٠

بانغتشانغ نسائي
بنتان معوزتان

كيف في حالهما يتدبران
بدون أم في هذا العالم القاسي ؟
بانغتشانغ مختلط

بالرغم من انها ماتت
لكنها لن تهنأ البال في مثواها الاخير

لقد تركت بنتيها المحبوبتين من خلفها

تطفأ الاضواء في المسرح وتحت ضوء موضعي تظهر صون هي تضرب الارض بقدمها وهي تنادي على أمها بصوت حزين يقطع نياط القلوب ٠
قو بون تقترب من صون هي حتى تصل اليها وتتابطها ٠ الاختان تبكيان معا ٠

★ ★ ★

في الوقت الذي يضاء فيه كل المسرح يرى المشاهدون قبر الام ٠
بانغتشانغ نسائي ٠

الام لا تستطيع أن تسمع صيحاتهن
ولا تسمعهن ينوحن ويضربن الارض
بين الارض والسماء لا توجد حدود

وللفتاتين الصغيرتين لا يوجد ماوى ٠
صون هي : عودتني أمي أن تربت على رأسي كل صباح وتضمني الى صدرها كل مساء

قو بون وصون هي :
الى أين ذهبتي يا أماه ؟
كيف نعيش الان ؟ ٠٠
بانغتشانغ جماعي :
هناك مثل يقول :
« الاخلاص يمكن أن يزهر بين الحجر »
ولكن ربما كان اخلاص الفتاة ليس قويا يا للاسف !
منذا في هذا العالم المروع
يستطيع أن يحكي قصة موت الام ؟
قو بون تسي ببطء تحاول أن تهدىء من روع صون هي التي أصرت بالدموع المنسابة من عينيها على البقاء الى جانب قبر أمها ٠

تطفأ الاضواء في المسرح

الليـــــل

د. كمال نشأت

عندما تأتي الينـــا

أيها الليل الحريري المجنح

تشرئب الروح ·· تستيقظ في النجم

وفي النسمة ·· في عشب الحقول

أيها الليل الذي يأتي

وما من مرة ضل الطريق

يا عجوزا عمره كالنيل

لا نعرف عمره ···

قادما يحمل تاريخ الوجود

راحلا فوق المدائن ···

والقرى··والبيد·· سحري العباءة

كم شعوب ··· ومعارك

ودموع ··· وانتصار

لفها جنحك عبر الزمن الجاري وسار

حينما يفتح فجر الفجر عينيه وتهفو

زقزقات الشجر الملتف نصحو

نفتح الشباك ···

لكن لا نراك ·

أين تذهب ؟

أين مأواك البعيد

أيها الشيخ المسافر ؟

أيها الشيخ الذي يعرف دربه

والذي لا يخلف الميعاد

اذ يمضي النهار

سوف تأتي كل يوم

بينما نحن سنمضي

فوق أمواجك حلما من غبار

الخليل بن أحمد

بقلم نزار نجار

« أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة ، لا يقدر على فلسين ، وأصحابه يكسبون بعلمه الاموال ٠٠ »

النضر بن شميل

تعريف عام : اسمه الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي ، وهو أبو عبد الرحمن ٠٠ ويقال ان أباه أحمد أول من سمي بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المرزباني في كتابه المقتبس ، نقلا عن أحمد بن أبي خيثمة ٠٠ والخليل نحوي وفقيه لغوي ، من أهل عمان ، توفي بالبصرة بين عامي ـ ١٧٠ و ١٧٥ هـ ـ الموافق لـ ـ ٦٨٦ و ٧٩١ م ـ بالغا من العمر خمساوسبعين سنة ٠ ولكن المهم هنا هو أن الروايات كلها قد أجمعت على ان وفاته كانت سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة ٠٠

اساتذته : درس الحديث ، وفقه اللغة على أيوب السختياني ، وعاصم الاحول ، والعوام بن حوشب وغيرهم وقد اعتنق مذهب أهل السنة عملا بنصيحة أستاذه أيوب ٠

تلاميذه : ونذكر من تلاميذه سيبويه ، والاصمعي، والنضر بن شميل ، والليث بن المظفر بن نصر وغيرهم ٠

أوصافه : عاش فقيرا صابرا ، شديد الورع ، وكان شعث الرأس ، شاحب اللون ، قشف الهيئة ، متمزق الثياب، متقطع القومين ، مغمورا في الناس لا يعرف ٠٠ قال النضر بن شميل :

« ما رأى الراؤون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه ٠٠» ـ أعلام الزركلي ج ٢

أعماله : يتفق كتاب السير جميعا على ان الخليل هو واضع علم العروض وقواعده في العربية ، ولا تزال طريقته هي السائدة اليوم على الرغم من المحاولات الكثيرة الاخرى التي بذلت لوضع طريقة غيرها ٠ على انه لم يصل الينا من مؤلفاته في هذا الموضو عسوى شواهد من ابياته وردت في رسائل مختلفة ، وكان الخليل ايضا أول من صنف معجما عربيا ٠٠ وهو كتابه « العين » ٠ والظاهر أنه رتبه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية ، وهي التي تبدأ بحروف الحلق حتى تصل الى حروف الشفة على الشكل التالي :

ع (عين) ـ ح ـ هـ ـ خ ـ غ ـ ق ك ج ـ ش ـ ص ـ ض ـ س ـ ر ـ ط ـ د ـ ت ـ ظ ـ ذ ث ـ ز ـ ل ـ م ـ ف ـ ن ـ و ـ أ (همزة) ٠

وثمة قول يقرر أن الخليل ليس هو مؤلف كتاب العين وانما الذي ألفه هو تلميذه الليث ، وقول آخر يذهب الى أن (النضر) صنف هذا المعجم على الاساس الذي وضعه أستاذه ، أو أنه هو الذي أتمه !٠٠

وقد يحق لنا ان نعتقد أن هذين القولين ما هما الا محاولة للتقليل من شهرة الخليل ٠٠ ومهما يكن من شيء فانه لم يصل الينا من هذا المعجم سوى المختصر الذي قام به أبو بكر الزبيدي الفقيه اللغوي الاندلسي ، وثمة مصنفات أخرى تنسب للخليل وصلت الينا ، ولكننا نشك في صحتها ، أو نشك على الاقل في صحة الصورة التي وصلت بها الينا وهي :

١ ـ كتاب في معنى الحروف ٠

٢ ـ كتاب شرح صرف الخليل (وتوجد فقرة منه في برلين)

٣ ـ كتاب فيه جملة آلات الاعراب (نسخة في آيا صوفيا ـ تحت رقم ٤٤٥٦)

٤ ـ فقرة عن تصريف الفعل (نسخة في بولديانا ج٢ تحت رقم ١٠٦٧ ع)

★ ★ ★

علمه : جاء في كتاب الانباري نزهة الالبا (ص٥٤)، أن الخليل سيد أهل الادب قاطبة في علمه وزهده ، والغاية في تصحيح (القياس) واستخراج مسائل النحو وتعليله ، كان من تلاميذة أبي عمروبن العلاء وأخذ عنه سيبويه ، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل ، وكل ما قال سيبويه : سألته ٠٠ أو قال ٠٠ من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ٠٠ وأخذ عنه أيضا النضر بن شميل ، وأبو فيد مؤرج السدوسي ، وعلي بن نصر الجهضمي وغيرهم ، وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر ، وكان أول من حصر أشعار العرب ، وكان يقول البيتين والثلاثة ونحوها في الادب ٠٠

وجاء في مقدمة ابن خلدون : أن أول من كتب في علم النحو أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ، ويقال باشارة من علي بن ابي طالب لانه راى تغير الملكة ، فاشار عليه بحفظها ، ففزع الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة ، ثم كتب فيها الناس من بعده ، الى ان انتهت الى الخليل بن أحمد الفراهيدي ايام الرشيد ، احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب ، فهذب الصناعة ، وكمل أبوابها ، وأخذها عن سيبويه فكمل تفاريعها ، واستكثر من أدلتها وشواهدها ، ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماما لكل ما كتب فيها من بعده ، ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاج كتبا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الامام في كتابه ..

وقد ذكر مزهر السيوطي - أيضا - أن أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن احمد .. ألف في ذلك كتاب العين المشهور .. ومما قاله الامام فخر الدين في (المحصول) : ان أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب العين ، وقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه!! أما السيرافي فقد قال في طبقات النحاة في ترجمة الخليل : (عمل أول كتاب العين المعروف المشهور ، الذي به يتهيأ ضبط اللغة) .. وهذه العبارة من السيرافي صريحة في أن الخليل لم يكمل كتاب العين ، وهو الظاهر لما سيأتي من نقل كلام الناس في الطعن فيه ، بل أكثر الناس أنكروا كونه من تصنيف الخليل ..

قال بعضهم : ليس كتاب العين للخليل ، وانما هو لليث بن نصر بن سيار الخراساني ، وقال الازهري : كان الليث رجلا صالحا عمل كتاب العين ، ونسب الى الخليل لينفق كتابه باسمه ، ويرغب فيه (كذا) !..

وقال بعضهم : عمل الخليل من كتاب العين قطعة من أوله الى حرف الغين ، وكمله الليث ، ولهذا لا يشبه أوله آخره ...

وقال المعتز : كان الخليل منقطعا الى الليث ، فلما صنف كتاب العين خصه به ، فحظي عنده جدا ، ووقع منه موقعا عظيما ، ووهب له مائة الف ، وأقبل على حفظه وملازمته ، فحفظ منه النصف ، واتفق أنه اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت :

- والله لأغيظنه .. وان غظته في المال لا يبالي ، ولكني أراه مكبا ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنه به ..

فأحرقته !..

فلما علم الليث اشتد أسفه ، ولم يكن عند غيره منه نسخة .. وكان الخليل قد مات ، فأملى النصف من حفظه ، وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه ، وقال لهم :

« مثلوا وجتهدوا » ، فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس ... (وقد أورد ذلك ايضا ياقوت الحموي - راجع معجم الادباء) [ولكن من يراجع لسان العرب لابن منظور يرى أن الالفاظ يرجعها لليث لا للخليل] .

★ ★ ★

أما أبو الطيب ، عبد الواحد بن علي اللغوي ، في كتابه (مراتب النحويين) فقد قال :

أبدع الخليل بدائع لم يسبق اليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى كتاب العين ، فانه هو الذي رتب أبوابه ، وتوفي قبل أن يحشوه ..

وقال ابن جني في (الخصائص) :

أما كتا بالعين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلا عن نفسه ، ولا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره ، فان كان للخليل فيه عمل ، فلعله (أومأ) الى هذا الكتاب (ايماء) ولم يله بنفسه ، ولا قدّره ، ولا حرره .. ويدل على أنه نحا نحوه ، أنني أجد فيه معاني غامضة ، ونزوات للفكر لطيفة ، وصيغة في بعض الاحوال مستحكمة، .. وذاكرت به يوما أبا علي - (ويقصد أستاذه وهو أبو علي الفارسي) - فرأيته منكرا له ، فقلت له :

« إن تصنيفه منساق متوجه ، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة ، فقال : الآن اذا صنف انسان لغة بالتركية تصنيفا جيدا ، يؤخذ به في العربية ؟!.. أو كلاما هذا نحوه » .. ا هـ .

★ ★ ★

أما علم العروض - وهو الذي عرف به الخليل - فنحن لا يسعنا أن نقول الا انه اول من أخرج هذا الفن من العدم الى الوجود.. واستنبطه كأروع ما يكون استنباط العلوم . وقد حضر أقسامه في خمس دوائر ، يستخرج منها خمسة عشر بحرا .. ثم زاد فيه الاخفس بحر الجنب ، وهو المعروف بالمتدارك ..

وقد قيل : ان الخليل دعا وهو بمكة أن يرزق علما لم يسبقه اليه أحد ، ولا يؤخذ إلا عنه .. فلما رجع من حجه ، فتح عليه بعلم العروض ، وكان له معرفة بالايقاع والنغم ، فأحدثت له تلك المعرفة استنباط هذا الفن ..

قال حمزة بن اسحاق في حق الخليل :

« ان دولة الاسلام لم تخرج للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول ، أبدع من الخليل ، وليس على ذلك برهان أفصح من علم العروض ، الذي لا عن حكيم أخذه ،

ولا على مثال تقدمه ·· فاحتذاه ·· وانما اخترعه من ممر له بالصفارين – (سوق الصفارين كسوق النحاسين في هذا الزمن) – من وقع مطرقة على طست ، فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الامم ، لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا ، من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ·· ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الامم قاطبة ، ثم من امداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام » (راجع دائرة المعارف ص٤٦٢) ·

* * *

وفن العروض قديم عند اليونان ، ولأرسطو فيه كتاب جليل (راجع دائرة المعارف ·· مادة عروض) ، ولكنه هنا لا يمكننا القول : ان الخليل اهتدى الى ذلك من الوقوف على كتب اليونان ، لان هذه الكتب لم تترجم ، ولم تختلط علوم اليونان بعلوم العرب الا في زمن المأمون ، وبعده ·· والخليل مات قبل ذلك الزمان ، ولكنه يظهر لنا مما ذكره بعضهم أن الخليل كان له المام تام باليونانية كما سيأتي في فكه المعمى ·· ولكن لم نجد تصريحا في كيفية ذلك ··

* * *

وقد نسب الى الخليل استخراج (المعمى) ·· (المعمى : راجع ابن سبطي التعاويذي في وصف البطيخة) قيل : وهو أول من نظر فيه ، وذلك أن بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل ، فخلا به شهرا حتى فهمه ، فقيل له في ذلك ، فقال : علمت أنه لا بد من أن يفتتح باسم الله تعالى ، فبنيت على ذلك وقست ، وجعلته أصلا ، ففتحته ، ثم وضعت كتاب المعمى ··

وقال الجاحظ : « ليس المعمى بشيء فقد كان مستملى أبي عبيدة أعلم الناس باستخراجه » – وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل (راجع دائرة المعارف) ·

* * *

وقد أراد الخليل أن يخترع شيئا في الحساب ، فقال: أريد أن أقرر نوعا من الحساب ، بحيث تمضي الجارية الى البياع فلا يمكنه ظلمها !!·· فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية ، وهو غافل فانقلب على ظهره ·· وقد شاخ فكان ذلك سبب موته (قيل ، بل كان مشتغلا بتقطيع بحر من الشعر فحدث له ذلك – راجع المصدر السابق – وراجع كتاب الدكتور يوسف العش – قصة عبقري) ··

وكان الناس يقولون : لم يكن في العربية بعد الصحابة أذكر منه ، وكان يحج سنة ويغزو سنة ، ويقال : إنه كان عند رجل دواء لظلمة العين ، ينتفع به الناس فمات ، واحتاج الناس اليه ، فقال الخليل : أله نسخة معروفة !!·· قالوا : لا · فقال : فهل له آنية كان يعمل فيها · قالوا : نعم· قال: جيئوني بها ، فجاؤه بها فجعل يشم الاناء و يخرج نوعا نوعا ، حتى أخرج خمسة عشر نوعا ، ثم سئل عن جمعها ومقدارها ، فعرف ذلك فعمله وأعطاه الناس ، فأنتفعوا به ، ثم وجدت النسخة في كتاب الرجل ، فوجدوا الاخلاط ستة عشر خلطا ، كما ذكر الخليل ، لم يفته منها الا خلط واحد (راجع المصدر السابق – المجلد السابع)·

ولا ننسى أن الخليل هو أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد مشهور وهو :

صف خلق خود كمثل الشمس اذا بزغت
يحظى الضجيج بها نجلاء معطار

وقد كتب تصانيف كثيرة الى جانب كتاب العين ، وكتاب العروض وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل، وكتاب النغم ، وكتاب في العوامل ، ولكنه – للاسف – لم يصلنا من ذلك الا النذر اليسير ·· (كما نذكر هنا انه قد أحصى أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الاربع ، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي) ·

* * *

كان الخليل رجلا صالحا عاقلا حليما وقورا ، وكان من الزهاد في الدنيا المعرضين عنها ، ويروى أنه وجه اليه سليمان بن حبيب المهلب ابن ابي صفرة – وهو والي فارس والاهواز – رسولا ومعه له الف دينار ، فرآه يبل كسرة من الخبز ويأكلها وقد قال له : كل · فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي الى سليمان ، فقال الرسول : فما أبلغه !

فأنشأ الخليل – رحمه الله – يقول :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
ضنا بنفسي أني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

ويقال : انه كان للخليل ولد متجلف ، فدخل على أبيه يوما ، فوجده يقطع بيت شعر على أوزان العروض · فخرج الى الناس ، وصاح : (جن أبي ·· جن أبي) فدخلوا عليه ، وأخبروه ، فقال لابنه :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
او كنت أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقـــالتي فعذلتني
وعلمت أنك جـــاهل فعـذرتكا

وقيل ايضا : كان رجل قليل الفهم ، يتردد اليه ليتعلم العروض ، فكان يتعبه بسوء فهمه ، ولم يحصل على فائدة مدة طويلة فقال له يوما هذا البيت :

إذا لم تستطـــع شيئـا فدعـه
وجـــاوزه الى ما تستطيـع

ففهم الرجل تعريضه ، ولم يعد اليه ··

ويحكى أن الخليل كان ينشد كثـــيرا هذا البيت (وهو للاخطل) ·

[واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصـــالح الاعمــــال]

وكان يقول ـ أيضا ـ من شعره :

وقبلك داوى المـــريض الطبيب
فعاش المريض ومـــات الطبيب

فكن مستعــــدا لدار الفنـــاء
فان الـــذي هو آت قـــريب

(وقد زاد ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان هذين البيتين من شعر الخليل) :

يقولون لي دار الاحبة قـد دنت
وأنت كئيـــب ان ذا لعجيـــب

فقلت وما تغني الديـــار وقربها
إذا لم يكن بين القلوب قـــريب

★ ★ ★

ومن كلام الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ :

ـ لا يعلم الانسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره ·
ـ واني لأغلق علي بابي فما يجاوزه همي ··
ـ أكمل ما يكون الانسان عقلا وذهنا اذ بلغ أربعين سنة ، ثم يتغير وينقص اذا بلغ الثالثة والستين ، وأصفى ما يكون ذهن الانسان وقت السحر ·
ـ وثلاثة تنسيني المصائب : مر الليـــالي ، والمرأة الحسناء ، ومحادثات الرجال (راجع بغيـــة الوعاة) ·

★ ★ ★

ويحكى انه قال : ان لم تكن هذه الطائفة ـ يعنـي أهل العلم ـ اولياء الله تعالى فليس لله تعالى ولي ··

وقد مات الخليل في أتم حالة من الزهد والصـــلاح، ومن كلامه في الزهد :

ـ الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود ·
ـ ومن استعمل الحزم في وقت الاستغناء عنه غنـي عن الاحتيال في وقت الحاجة اليه ·
ـ وحسب المرء من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ، ومن علم بفساد علم بصلاحها ·
ـ وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب الى غـــيره توبة عنه ·

★ ★ ★

ويروى عن سفيان أنه كان يقول :

من كان يحب أن ينظر الى رجـــل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن أحمد ·

ويروى عن النضر بن شميل انه قال :

كنا نمثل بين ابن عون والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة فلا ندري أيهما نقدم ··

وكان النضر نفسه يقول :

ما رأيت رجلا أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل ابن أحمد ·

ولقد أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه ، وهو في خص لا يشعر به وما يحكى عنه من العلم والزهد ، أشهر من أن ينشر ، وأظهر من أن يـــذكر ـ (راجـــع ابن الانباري ص ٥٨ و ٥٩) ··

واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة ، يتحدثان ، فلما افترقا قيل للخليل :

كيف رأيت ابن المقفع ، قال :

رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ·

وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل :

فقال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه ·

★ ★ ★

وأخيرا ـ بعد هذه العجالة القصيرة ـ ان امامنا مادة غزيرة من تراث هذا العبقري البارع ، نستطيع على ضوئها أن نعرف بعض ما عندنا من تراث أدبي خالد ·· فأمتنـــا العربية كانت ـ على مر الايام ـ ترفد الانسانية بالعلمـــاء الافذاذ الذين حملوا مصابيح العلوم في شتى فروعها مـــن لغة وأدب وفن ··

وافتح أي كتاب زاخر بعلم العرب ، فانك واجد آثار علماء هذه الارض الطيبة الفاضلة ··

ولعلنا ـ فيما قدمنا عن الخليل بن أحمد ـ نكون قد تذكرنا ايضا بعض ما في أمتنا من أصالة وحضارة !·

حماة : نزار نجار

أغنية إلى القدس

مصطفى البدوي

بكل انعطاف الرؤى اليك
أرى المستحيل
هو الحب ٠ اجترح المعجزة
واسبر غور الزمن
واقتات بالامل المرتجى

* * *

توغلت في الجرح مني
واسرجت نحوي الرياح
واترعت عين الفضاء
توجس راع
بمأسدة باللظى تكتوى
طريد بأصبعه يحتمي

* * *

تمطى بي الكبر مزق صبري
توسدني الحزن عاما فعاما
يكابرني اليأس لا ٠٠٠
دع اليأس يأكل بعض الأحبة

* * *

أنا الباذل الروح هذا جناحي
وهذي يدي
وصوتي الذي ما احتواه المدى

* * *

رجوتك يا سدرة المنتهى
بذلت لك القمح والأسرجة
ورحت اصلي
أرش التعاويذ فوق الحصا
لعل السبيل اليك تلين
وينبض بالحب قلب الصفا

دمشق : مصطفى بدوي

أغنية

عبد القادر حصني

كل الاصداء التي في اعماقي منذ الابد
كانت لك ، ايتها الاغنية الرائعة

كان المساء ، وكنت أغنية
عذراء ما خطرت على وتر

أغنية ، نشرت حكاياتي
مطوية الآهات في السحر

فأفقت ·· من يا قلب أرجعني
لهواجس الماضي ؟ وللذكر

من لون الآمال ؟ من رقصت
أحلامه بقوافل الغجر ؟

وبلهفة المشتاق عدت الى
ماضي ، أجمع عالمي ، صوري

من مقلتيك ، من ائتلاقهما
يا حلوتي ·· من جنة الزهر

أنت التي غنيتها زمنا
بل أنت · أنت قصيدة العمر

يا طفلة النظرات · يا حلما
يلهو ببال الموسم العطر

نمنمت من شفتيك قافية
والجلنار بصمت معتذر

★ ★ ★

وتركتها سكرى · أما علمت
كم في لهيب الصيف من خطر ؟

★ ★ ★

أبريئة العينين يا قمري
يا وردة تغفو على المطر

أنا متعب الخطوات ·· أشرعتي
مجنونة بالموج بالشعر

هل تبحرين معي الى جزر
منفية من عالم الجزر ؟

ثلاث قصائد

محمد مصطفى درويش

ـ ١ ـ

لا أشرب الخمرة حبا بها … أو هربا من عمر راحل
أشربها أشربها مكرها … كي أقتل العالم في داخلي
ودعتها لا صمتها دامع … ولا خفايا وجهها الناحل
قالت : محال حبنا سيدي … حاول غدا نسيانه حاول
كيف سأنساه وأغريتني … بليلة في شعرك السابل ؟
كيف سأنساه وقد خانني … أسلمني للوجع الآكل
الليل في عينيك مستوحش … يبكي على ورد اللقا الذابل

ـ ٢ ـ

رمادية الاشواق حبك كاذب … يحاول قتلي والصداقة أكذب
مسيحك ذاق الصلب والموت مرة … ولكنني ألفا أموت وأصلب
توحدت في عينيك بالمنتهى الذي … يضيء شعاب الحزن ان جن غيهب
تسربت من جلدي وما بك رغبة … لكم انهك الاعصاب هذا التسرب
أحبك : حبي ليس نزوة عاشق … وفورة قلب ، او قصائد تكتب
احبك : حبي خمرة بابلية … مساء على فصد الشرايين تشرب
قرأتك في صحراء عشقي مسافة … كذلك لذات القراءة تنهب

ـ ٣ ـ

عودي كما أنت فلن نلتقي … لا برعما في غصنك المورق
الصمت في عينيك أكذوبة … ولست مما فيه بالمشفق
عودي كما أنت فلي عالمي … ولي صباحاتي ، وفجري النقي
عودي كما أنت ودوني اذا … أتيت : أبواب المسا غلقي
عودي وان قالوا : انتهى حبنا … عني أحاديث الهوى لفقي

النخيل... والخصب

اسماعيل عمرو

١ ـ الحاضر الكبير

لا تقولوا : عادت الاقمار للدار الخراب ،
لا تقولوا : ولت الاشباح ، سممنا الذئاب
لا تقولوا : وانظروا موج الظلام ،
حدقوا في الارض ، في الافق ، وفي هول الركام :
لن تقولوا عندها : ولى الخراب ،
لن تقولوا : نحن سممنا الذئاب !!
يا رفاق النور ، غاض النور في ليل النخيل
واعترى التفاح امواج من الرزء الوبيل
وغراس الارز تحنو ، ليلها طويل ،
يارفاق النور ، يا زيت المشاعل :
من يذيب الدمع نورا ، من يقاتل ؟
سيقول الجيل يوما : « نحن اطفأنا المشاعل »
« وتركنا الكرم خلوا ·· للذئاب وللثعالب ،
للضباب »

ورؤى الاجيال درب : اسمه هول المصاعب !
يارفاق الحرف ، غص الحرف ، وانساح العبير
فلتكن روحي اليكم ، اغنيات للنفير

أغنيات للزهور ، وللعبور ،
للغد المجهول في دنيا الضباب ··

هذه روحي عتاب ، وكتاب :
فخذوها واقرؤوها ، يا رفاقي ، واحرقوها
في سفوح الارز ، في ليل النخيل
في ربا التفاح ، في سفح « الجليل »
فاحرقوها ، واحرقوا دمعي الصبيب ،
سيقول الجيل يوما « نحن سممنا الذئاب ،
وعلى النخل الكئيب ··
نحن اسكتنا الغراب »
يا رفاق الحرف في الدرب الخصيب !

٢ ـ الغد الحاضر

يسالني هشام ··
طفلي الصغير :
اني ارى الرياح والبروق ،
أيا أبي ، واسمع الرعود
تقصف في السماء والجواء والعباب ،
كأنها الزلازل الغضاب ،

لكني أرى الخراب ،
لكنني ارى التراب

يكاد يحترق ،
والزنبق المأمول ــ
مصوحا مهزول ــ

يكاد يختنق !
أجفت السماء والسحب ،
وأسدلت لثاحها الحجب ،

فارتاعت الامطار ،
وأجفل الحمام والهزار ،

وارتحل الاعصار ؟؟!

٣ ـ الحاضر الصغير الغد الكبير

وتسألني ·· وتسألني :
لمَ لم يمطر الافق ،
وترو أرضنا العطشى ؟!
لمَ لم يجر وادينا ،

ولم تخصب مراعينا ،
مزارعنا ، بيادرنا ، أغانينا ؟
لمَ جفت سواقينا ؟

دموع ابيك ، في تسكابها ، المطر ،
وآه أبيك ، في زفراته ، القدر ،
سؤالك ، طفلي المحبوب ، ينتصر ،
على العقم ،
ويضرم في مشاتلنا ،
بروق الامس والآتي ،
ويخصب في مزارعنا ··
نجيع ، جارف ، عات !!

إيثار ..

من أجلك يا حبيبتي
يجرح التسهيد خدي
يرشف الضوء عيوني
أتمرمر ... أتحسر
أتوه في مهمه الضياع

* * *

من أجلك ...
حملت صليبي الى الجلجلة
أجره ... معذبا ... وحدي
والشوك والآلام ...
يذرعان طرقي .

* * *

مري ببالي ...
تمتلئ نفسي حبورا
ودروبي تفرش الزهر
حريرا ... وسريرا
للأميره .

عيناك

عيناك يا حبيبتي
مرافيء للصحو والنضارة
فيهما اتمرى ...
فأشاهد ذاتي
عارية كالخريف .

* * *

عيناك ... يا للعالم النائي
يا لسحر الشرق ...
كالأفق البحري لا تنتهيان
خلفهما ينطوي الف سر
وألف كوكب مجهول .

* * *

حدقي بعينيك
يفتح المجهول سره
وتنكشف دروب الغيب
وأصل آخر الدنيا
في رفة الهدب

عيسى فتوح

رحلة ذكرى

شعر: طاهر رياض

لا القلب ينسى ولا ذكراك تنساه ... يشكو صدودك لكن .. أين شكواه!

لم أدر جام النوى ما طعم خمرته ... حتى جرعت على كره حمياه

فغبت في نشوة الاحزان مرتحلا ... مدثرا بالأسى .. تحدوني الآه

وهمت في ذكريات الأمس أسألها ... وأسأل الصبر جودا في خطاياه

واستعيد من الماضي وروعته ... رسوم عهد مضى .. ما كان أحلاه !

هذا بساط الهوى حال بمجلسنا ... وذاك جسر الاماني .. كم عبرناه

وكم نثرنا على جنبيه من حلم ... مجنح .. عاطر .. كنا حلمناه

وتلك أطيافنا في الماء راقصة ... كأنها ما درت أنا هجرناه !!

وعند طلة وادينا رنا ألما ... وحرقة بلبل تنهل عيناه

يسائل النرجس المطلول في قلق ... عنا .. وكيف نفرنا من حكاياه

ما زال لحن الهوى العذري يذكرنا ... فنحن من لهفة الأشواق صغناه

ومن جنان .. ومن حب .. ومن وله ... ومن رجاء .. ومن طهر سقيناه

ما زال .. ما زال كل الامس في مقلي ... وفي فؤادي ستحيا العمر ذكراه

★ ★ ★ ★

وعدت من رحلة الذكرى يمزقني ... شوق جريح المنى .. كم كنت أخشاه !!

يكاد دمعي بذوب القلب ملتهبا ... يجري على الخد .. لولا الكبر ينهاه !!

أأصبر اليوم .. أم أقضي شجى وأسى ... والصبر والموت أنساب وأشباه ..

لولا بقايا من الآمال تمسكه ... لحطم القلب من يأس بقاياه ! ..

دمشق ـ طاهر رياض

حوارية مختزلة

* شعر مصطفى النجار



جمحت خالقة عالم ناري

ودعتني شغفا للوتر المهجور

فلعلي أتسامى طربا ...

جمحت خالقة الحب وقالت :

ها هو اللحن المندى ..

عانق الليل وطار

يا حبيبي .. فلتكن ايامنا أشعار

موسم الاحزان أعيانا انتظار

كيف نامت شمعة الاسرار

من ترى قال انتهينا ...

بعد لم نبدأ حبيبي ؟

★★★

قلت أهلا ..

غير اني .. غير اني ..

أزرع النوار !

حلب

الايمان يقظة والخدر سبات

بقلم : يعقوب قرام منصور

لقد استلفت انتباهي الاستاذ جورج جرداق بما عزاه الى الخدر (١) من انتصارات عسكرية ، وفتوحات عربية ، واستشهادات مسيحية واسلامية ، وتخطيط للانسانية من قبل روسو ، ومضي روبسبير الى حتفه ، وزحف الجماهير الفرنسية على الباستيل ، وغير ذلك من الاعمال حتى قوله ان الايمان « هو قمة الخدر ! »

إني لفي أشد الحيرة ازاء جهر الاستاذ جرداق بهذا التعليل الغريب ، بينما الصواب في اعتقادي ــ المستند الى المنطق والأدلة ــ هو نقيض قوله تماما ، أي أن الايمان ذروة اليقظة ٠

فالاغريق عندما فتحوا العالم القديم بقيادة الاسكندر المقدوني ، لم يكونوا « مخدرين بروح الفتح » ، بل كانوا في منتهى الوعي والادراك أنهم قادرون على ذلك وخليقون به غب أن استعدوا له أتم استعداد في عهد العاهل فيليب ونجله الفاتح ٠ كانوا قد امتلكوا العزيمة على ذلك ، وهيأوا لها أسباب الظفر ٠ وما يقال عن الفتح الاغريقي في عهد الاسكندر المقدوني ، ينطبق على الفتوحات الاخرى في عهود جنكيز خان وتيمورلنك وهولاكو وآل عثمان وما أعقب حقبهم من الفتوحات ٠ والاستاذ جرداق يدرك أن « العزيمة » و « الخدر » نقيضان ٠ فمن أصيب بالخدر لا عزيمة له ، بل هو مصاب بالخور ٠ والايمان ليس من الخدر في شيء ، بل هو ــ في احوال ــ على درجات متفاوتة من اليقظة ، وفي أحوال أخرى على درجات من فوران واضطرام وجيشان ٠

والعرب عندما قهروا إمبراطوريتي الاكاسرة والاباطرة ، كانوا في اوج يقظتهم الروحية ــ سبقها الخدر الجاهلي ــ وفي عنفوان تطلعهم الى الفتوح ، واحتدام تشوقهم الى الاستشهاد ، واضطرام رغبتهم في اصابة المغانم ٠ وصاحب (٢) أفضل كتاب في الامام علي (ر) ، يفقه جيدا ان الاحتدام والعنفوان واليقظة واضطرام الرغبة على طرفي نقيض مع الخدر ، لكنه قال ان العرب قهروا الامبراطوريتين « لتخدرهم بروح الوحي » ، وان المسلمين الاوائل بقبولهم العذاب والموت « كانوا مخدرين بروح الرسالة » ، وان المسيحيين الاوائل أسلموا أنفسهم لأشداق الأسود « لانهم كانوا مخدرين بروح المحبة ! » ٠ هذه أقوال قصية جدا عن الحقيقة ، بل تنقضها نقضا من الاساس ٠

فالفعل كل الفعل كان لليقظة وليس للخدر ٠

وجان جاك روسو حينما دون مؤلفاته العظيمة ، كانت تعتمل في ذاته عوامل حب الحياة المثلى السعيدة التي يسودها الخير والجمال ، ويتلاشى فيها الشر والبشاعة ٠ والكاتب الفاضل يعلم ــ كما يعلم كل عاقل عداه ــ أن « الاعتمال وحب الحياة » لا يمكن أن يكونا من ميزات المخدرين ، بل من مزايا اليقظين الساعين نحو الافضل والاحسن الى حد تحمل الاهانات والهزء والاضطهاد ٠

والهجوم على الباستيل ، كان من قمم التحفز والوثوب بعد تململ وتمرد من جراء طغيان وفساد وظلم وقيود وعدم مساواة ، إذ بدهي أن التحفز والوثوب والتمرد والتململ أمور لا تنم الا عن نقيض الخدر الذي اليه عزا جرداق تحطيم الباستيل ، لان الجماهير ــ في اعتقاده ــ كانت « مخدرة بشعائر العدالة الاجتماعية » ، ونظير ذلك جنود نابليون عندما قهروا الدنيا لانهم ــ في رأيه ــ كانوا « مخدرين بصوت قائدهم وبصورته » ٠ ما أقصى الخدر عن هذه الامور ! هل أتيح لمخدر أو من هو في قمة الخدر أن يقوم بعمل بسيط كأن يعانق امرأة بشكل مرض ، أو يسير على قدميه سيرا طبيعيا ، حتى يستطيع مخدرو جورج جرداق أن يأتوا بالاعمال العظيمة والبطولات المجيدة ؟! ٠٠ المخدر كمتعاطي الحشيشة ، لا يحسن غير الثرثرة والخنوع والهوان وايغال في الخيال ، ولا يتوقع منه أي عمل مجيد باهر خارق ٠

وما أقصى الخدر عن « بيتهوفن وغاندي وتولستوي وبوشكين والمتنبي وباستور والانبياء » ! ان الخدر من صفات الحشاشين والسكيرين ٠ فهؤلاء كلهم وعداهم من الخالدين والعباقرة والمصلحين والمرسلين كانوا في ذروة يقظتهم الروحية والعقلية ، وفي كامل ادراكهم ووعيهم وعنفوانهم وفعالياتهم ٠

الايمان يقظة تخلق عظائم الامور ومعجز الاعمال ، والخدر سبات شبيه حال من في القبور ٠ الايمان بركان فعال ، والخدر بركان خامد ٠ الايمان يقظة قادرة على العمل ، والخدر غيبوبة وشلل وعجز عن الحركة والفعل ٠ الايمان وعي وحرارة ، فعال منفعل ، موجب يصلح معه الاندفاع ٠ والخدر لا وعي وانجماد غير فعال ولا ينفعل ، سالب لا يصلح معه أي اندفاع او عمل ٠

من المؤسف أن جورج جرداق لم يكن سديد الرأي في مقاله ، وغير مصيب في تشبيهاته ٠ فقد وضع الاشياء في غير مواضعها ، ولم يسم الاشياء بأسمائها ٠

بغداد **يعقوب قرام منصور**

---

(١) مقاله المنشور في مجلة « الصياد » البيروتية ــ العدد ١٨٥٧ الصادر للفترة ١٣ ــ ٢٠ شباط ١٩٧٥ تحت عنوان (الخدر والايمان وأم كلثوم) ٠

(٢) جورج جرداق نفسه ٠

اخترت لك ...

الاولاد الذين سرقوا الكرة

بقلم : حسني سيد لبيب

كان اقتراحا ، ثم تنازل عنه وجلس في الشرفة وقد انبسطت اريحيته بانسام الربيع الرقيقة ، بعد زوابع خماسينية ساخنة دامت طوال اليومين السابقين . ود لو توافق على اقتراحه ، لكنه يعرف مدى صلابة دماغها ، ولن تتورع عن اتهامه بتضييع الوقت سدى ، وتبديد المال دون طائل . ان « سيدة » زوج مخلصة ، لولا ما يتسم به سلوكها من عصبية تظهر من وقت لآخر . ودائما هي مهمومة بشغل البيت ، ومتاعب العمل، ومطالب منى وطارق التي لاتنتهي . وحين ينصحها بالاهتمام بنفسها ، ترجعه الى مشاكل البيت التي ما ان تفرغ من احداها حتى تبدأ في اخرى .

اطلت منى من الشرفة، تجول بعينيها في انحاء الشارع، وتدندن باغنية وطنية تنشدها كل صباح مع زميلاتها في المدرسة ، ثم رنت الى ابيها وهو يطالع الجريدة ، كان جهم الوجه قليلا ، سألته :

ــ أنت زعلان يا بابا ؟.

القى الجريدة بعيدا ، وطوق ابنته بذراعه اليسرى، وضغطت انامله ذراعها الرقيقة ، ثم انفرجت اساريره بابتسامة واسعة ، وطبع قبلة على جبينها . سألته :

ــ ألا تخرج نشم النسيم ؟.

ــ حاضر .. البسي أنت وطارق .

وهرعت منى بفرحتها الصبيانية تزف الخبر الى أمها وطارق . وفكر ابوها في زوجه التي رفضت اقتراحه اول الامر ، هل توافق في هذه المرة ؟. لا يهم .. يتركها في البيت . لن تعتب عليه . تأتي معه اذا شاءت ، فهذه رغبة منى وطارق ، ولولاهما ما اضطر للخروج .

طلب منها ترك شؤون البيت ، فاليوم اجازة شم النسيم ، ولا بد من التنزه . و « الحياة ليست كلها شغلا » عارضت متلطفة في هذه المرة . سأل طارق :

ــ أتشتري لنا كرة يا بابا ؟

ــ فيما بعد .

لاحظت سيدة ان ياقة الجاكيت متكرمشة ، وبسرعتها المعهودة بسطت الياقة بالمكواة في دقائق ، بينما وقف سالم قبالتها بالفانلة الداخلية التي أبرزت كرشه المتكور .

لم يدبر سالم امر هذه الرحلة المفاجئة ، وكعادته دائما ، وجد نفسه يجول بوسط البلد ، يمسك يد منى بيمناه ، ويد طارق بيسراه ... ويمشي الهوينى في شوارع العاصمة التي تكاد تخلو من المارة، واغلب الدكاكين مغلقة. وجالت نظرات الطفلين هنا وهناك ، ثم دار بينهما حوار لطيف ..

ــ تفتكري يا منى اين سنذهب ؟

ــ الجنينة ؟ .

ــ يا عبيطة.. لا يمكن نذهب الى الجنينة من غير ماما.

ــ ممكن نرجع ونقول لها تجي معنا .

ــ بابا لن يوافق .

ــ يعني نتفسح من غير ماما .. طيب أنت تفتكر بابا ذاهب الى أين ؟

ــ السينما ..

ــ بابا يحب يدخل السينما بالليل .

يتابع سالم الحوار ، ولا يتلفظ بشيء . انه حائر لا يدري أين يذهب ! المحلات على الصفين معظمها مغلق ، خف زحام وسط البلد ، أغلب الناس قصدوا الحدائق والكازينوهات المطلة على النيل . لم تطل حيرته ، حيث انعطف الى كافتيريا جروبى ، المكتظة بالرواد .

ترك منى وطارق يلهوان كما يحلو لهما، وجال بعينيه عبر الوجوه المتناثرة في كل اتجاه ، كان يبحث عن رجل مثله لا تشاركه زوجته هذه الجلسة الربيعية . أغلب الرواد من الشباب حديثي الزواج ، او على أهبته ، اثنين اثنين ، يخططان للمستقبل . منذ أكثر من عشر سنوات ، جلس مع « سيدة » مثل هذه الجلسة ، كانا حديثي التخرج ، بعد زمالة جامعية تفهم كلاهما طباع الاخر ، فتبادلا شعورا صادقا ، ونجحا في الاستقلال عن اسرتيهما ، وتأثيث بيت الزوجية معا . وغمر سالم حينذاك احساس بالرضا ، بينما شعرت سيدة انها نجحت في اختيار الزوج المناسب . تنهد سالم تحسرا على هذه الايام الجميلة ، أفاقته هزة رقيقة من طارق:

ــ عايز اشتري كرة يا بابا .

ــ قال مقطبا ما بين حاجبيه :

ــ فيما بعد .

أفاقه طارق من ذكريات الماضي ، رده الى الواقع . اصبح ابا . منى في العاشرة ، طفلة جميلة ، وغدا تكبر ، سرعان ما تكبر . ستتعاظم مسؤوليته . وطارق في الثامنة ، طفل ذكي ، لكن الشقاوة في دمه ، غدا يعقل . انه أب مسؤول . ولت احلام الشباب ، ولم تبق منها الا ذكرياتها الجميلة .

لفت نظره وجه فتاة رائعة الجمال ، بيضاء البشرة ، صفراء الشعر ، عيناها واسعتان ، وشفتاها دائمتا الابتسام . وجه ملائكي حقا ، لكنه وحيد ، يجتر ذكريات الماضي . أيقظت انسام الربيع الرقيقة احاسيس سالم ، وهذه الفتاة تتنفس مثله نفس الانسام ، هناك نوع من المشاركة اذن !

أطالت منى التحديق في وجه الفتاة ، انجذبت الفتاة الى منى ، ابتسمت لها ، واشارت اليها :

ــ ما اسمك يا حلوة ؟.

ــ منى سالم .

ــ اسم جميل .

ـ متشكرة .. وما اسمك ؟..
اتسعت ابتسامتها لسؤال منى الطفولي :

ـ ايضا .. منى ..

راقب سالم الحوار اللطيف ، أراد أن يتدخل ، لكنه تريث . أشارت ابنته باصبعها نحوه وقالت للفتاة الجميلة :
ـ انه بابا .. أطيب بابا في الدنيا .
تدخل طارق :

ـ وماما .. أطيب ماما في الدنيا .
سألت الفتاة :
ـ أين أمك يا منى ؟.
أجاب سالم متدخلا :
ـ تركناها لشغل البيت .

عاتبته الفتاة وافهمته ان الام تستطيع رعاية اولادها ، سواء داخل البيت او خارجه . وكانت فرصة مواتية لتجاذب أطراف الحديث. تناسى كل شيء ، وتكلم بفطرته رافعا التكلف ، وكأنه يعرف منى الحسناء منذ سنوات !. طلبت عصير برتقال ، فطلب مثلها . نصحته بان يقلل من كميات الطعام التي يتناولها ، ويبتعد عن النشويات ، ويمارس بعض الالعاب الرياضية ، فهناك أمل في انقاص تكور كرشه، الذي يسبب له المتاعب . انصت لحديثها ، ان زوجته لم تنصحهبشيء لم تذكر قط مدى خطورة هذا الكرش على حياته . حديث منى الحسناء ممتع ، ويشوقه سماع المزيد ، ففي حديثها يتلمس اريج عطر جديد تنتشي به نفسه بعد طول جدب .

تامل الطفلان المكان بعين الطفولة الفاحصة المنقبة . ثم افاقا الاب من جلسته ، وطلبا منه الرجوع الى البيت . همست منىالصغيرة في اذنه :
غذ

أزف موعد الغداء . وماما قاعدة لوحدها في البيت .
واضطر الى الاستئذان ، أمسك ورقة الحساب ، ودفع حسابه وحسابها ، رفضت في البداية ، لكنها ازاء الحاحه قبلت شاكرة .

وفي رحلة العودة ، سيطر عليه احساس بالرضا ، ولونت البهجة محياه ، وكأنه رجع شابا من جديد . ثم أطرق برهة ، اثناء سيره حثيث الخطى ، وتساءل ان كانت منى الحسناء مخطوبة أم لا ؟. نسي أن يلاحظ اصبعها . كما نسي أن يسأل اذا كانت مرتبطة برجل !. ونسي ايضا أن يسأل عن العنوان !.

أفاق من شروده حين نبهته منى الصغيرة الى شقاوة طارق . حينذاك ايقن انه لقاء صدفة مع فتاة مجهولة ... حقا هي جميلة ، وانيقة ، وهفا اليها قلبه .. لكنها

مجهولة ! . مجرد لقاء عارض ، لن يقدم او يؤخر شيئا .. أو هي لحظة سعادة عابرة اختلسها من عمر الزمن ، ولن

تعود . وحين استرجع مرة اخرى حديثها معه عن صحته ، وكيف يعتني بها ، شرد برهة ، ثم أفاقه صوت داخلي بانه أب ، ولا شك ان منى الصغيرة ستكبر، وستكون أجمل منها. وخالجه احساس بالزهو رسم ابتسامة صغيرة على شفتيه .
وفي البيت ، التفت الاسرة حول مائدة الغداء . وكثر

حديث الطفلين عن رحلتهما القصيرة ، بينما غرق سالم في صمته .

وبعد الغداء ، رقد سالم على السرير ينشد الراحة ، اغفلت عيناه منتشيا بلقائه العابر بالحسناء الصغيرة ، وكأنه يحلم ، يسترجع ما حدث في حرص بالغ . كان يوما جميلا حقا ، وما أحوجه الى مثل هذه السعادة .. و .. أفاقه من الحلم صوت طارق ومنى وهما يرويان لامهما تفاصيل ما حدث ، أفاقه الواقع من شفافية اللقاء الحالم تقول منى بجرأتها المعهودة :

ـ تصوري يا ماما .. بابا دفع حساب أبلة منى .

امتقع لون وجهه ، وتوتر بعض الشيء ، كاد يهم بالنهوض ، ويهرع الى منى الصغيرة ، ويسد فمها ، وينفي ما قالت . لكنه احجم حين أتاه صوت امها الخفيض :

ـ أعرف ان اباكما قد يتورط في مثل هذه الحماقة. أن أباكما طيب جدا .

وتبدد حلم السعادة الذي داعب مخيلة سالم . لم يشأ التدقيق فيما قالته زوجته . اختفت صورة الحسناء من مخيلته ، وتبدد الحلم الذي نسجته خيوط لقاء عابر ، وصار سرابا يجب ألا يلهث وراءه . ودوى في اعماقه الصوت المضجر : « انه طيب جدا » .. عبارة لا تطرب أذنيه . لكنها فرضت منطقها ، فهب واقفا ، قاتلا احلام اليقظة ، لقد ولى عهد الشباب . نادى على طفليه، وناولهما ورقة مالية وقال كمن يصدر امرا :

ـ اذهبا واشتريا كرة كبيرة ، والعبا .. وامرحا .
وحين همت الام بالمعارضة همس :
ـ يجب أن يسعدا بأيام الطفولة .
ـ سيقلبان البيت رأسا على عقب .
ـ أحسن .

ـ أريد تعويدهما على الجدية والاتزان منذ الصغر.
ـ دعي هذه الافكار ، ولا تعقدي الامور .
وابتسم ، ثم قال بعد فترة صمت وكأنه يراجع نفسه :

ـ كنت اتمنى أن ارجع الى عهد الشباب !..
نظرت اليه « سيدة » في ارتياب ، فأكمل عبارته :
ـ وكنت اتمنى أن ارجع الى عهد الطفولة ، والعب الكرة مع منى وطارق !.

ركزت نظراتها الفاحصة على ملامح وجهه ، ثم قالت :
ـ دعك من هذه الافكار ، فقد سرق الاولاد منا الكرة !.. هل يرجع الزمن الى الوراء ؟..
تنهد في حسرة ، وشرد قليلا ، صوت رقيق يتردد في أعماقه : « لقد عاد الى الوراء لحظة حالمة عشتها اليوم بكل جوارحي » ، لكنه أفاق من شروده وأكد لزوجته :
ـ نعم يا عزيزتي .. لقد سرق الاولاد منا الكرة!.

القاهرة **حسيني سيد لبيب**

★ عن الزميلة الاديب (ابريل) ١٩٧٥

رسائل الأصدقاء

الاخ الاستاذ مدحة عكاش

صاحب مجلة الثقافة الغراء المحترم

تحية الادب وبعد

قرأت بشوق ولهفة الاعداد الثلاثة من مجلتكم الثقافة التي صدرت كملاحق شهرية للثقافة الاسبوعية وكل منها روضة من رياض الادب وارفه الظلال عطرة الازهار يانعة الثمار • فأكبرت فيكم هذا الاخلاص للادب والتضحية في سبيله بكل جهد ومال والسير في هذا الطريق بهمة لا تعرف الملل وعزيمة تذلل الصعاب وتتخطى العقبات •

ان مجلتكم هذه لهي الوجه الصحيح للادب البناء في هذا القطر بقديمه وحديثه تتوخى فيه الاصالة والجودة دون محاباة أو تعصب لفريق دون آخر •

شكرا لك ايها العزيز على هذه الخطوة المباركة وشكرا لسيادة وزير الاعلام الذي دشن عهده الزاهر بالموافقة على هذه الخطوة وتشجيعها وليس ذلك بمستغرب منه وهو الاديب الشاب المخلص في خدمة هذا الوطن والادب هو أجل الخدمات واسماها وأبعدها أثرا •

دمت ايها العزيز ودامت مجلتكم منبرا حرا للادب الصحيح المعطاء ومحلا للاقلام النيرة •

انور امام

الاخ الحبيب الغالي الاستاذ مدحة عكاش

صاحب مجلة الثقافة المحترم

تحية الادب والوفاء للادب وبعد

بين يدي الان العدد الرابع من مجلتكم الثقافة الملحق الشهري للثقافة الاسبوعية ، اقرؤه وأنا معجب بهذه القفزة الجبارة وأكثر اعجابا بهذا الايمان العميق في الادب ورسالته ، وبما تبذله في سبيله من راحة ومال ••

ان مجلتك هذه يا عزيزي بحق هي الوجه الصحيح للادب في قطرنا العربي السوري الغالي لانها الواحة الظليلة التي تتقبل في افيائها كل اصيل في الادب قديما كان او حديثا •

لقد أزالت السدود والحدود بين الجميع وحطمت الجدران القائمة على المغالاة في التعصب لنوع سموه جديدا في الشعر وهو ليس ذاك فشكرا لك يا عزيزي على هذه الوثيقة الرائعة ، وشكرا لسيادة وزير الاعلام الذي دشن عهده الزاهر بالموافقة على هذه الخطوة ولم يغفلها من عنايته وتشجيعه •

دمت يا عزيزي ودامت مجلتك نبراسا للادب في هذا القطر الحبيب •

احمد علي حسن

أخي الشاعر البحاثة حسن الامين العاملي المحترم

تحية وسلاما

طالعتني مجلة (الثقافة الاسبوعية) الدمشقية بخبر عز على الاخوان في بغداد ، وأحزنني طويلا ، وسيبقى جرحه عميقا دفينا ••

كيف لا •••• وشقيقك الطيب الذكر الدبلوماسي الشاعر عبد المطلب ذهب الى ربه راضيا مرضيا •• فواحسرتاه •• كيف ننساه ومجلسه المحبب وحديثه العذب وعقله الخصب ، وأظنني لا أخطىء اذا قلت بأن صديقنا عبد المطلب قتلته مشاعره المرهفة •• قبل أشعاره المسعفة•

ويمكنني أن أستدل على صحة قولي بما وعته ذاكرتي من شعره

يا أمس يا يومي لأيكمـــا أنما
وازكـــي واستوحي وأبتســـم
أنتم حياتي تسامت في تناقضهـا
فمـــا تبـذل الاحـــين تنسجم
يوميوامسي وأخشى أنأقولغدي
غرقت في الالم الساجي وما علموا

هذا هو شاعرنا وفقيدنا عبد المطلب الذي ولد طفلا صغيرا ٠٠ ومات طفلا كبيرا ٠٠٠

نعزيك أيها الاخ ونشاطرك احزانك بألمك الكبير ، ونعزي الاخاء والظرف والذكاء بفقيدنا ٠٠٠

(زين الشباب أبا فراس لم يمتع بالشباب)

فصبرا جميلا والله المستعان

بأخلاص ناجي جواد

الاستاذ الشاعر سليمان عواد (أبو رياض) الغالي

تحية أخوية وبعد :

لقد كان في مقدورنا أن نحمل ربابا ٠٠ ونتجول في أحراش العالم ٠٠ وننشد قصائد الترحال بين قلوب العالم حتى نتمكن من أن نعزف قصيدة الشعر والدم ٠٠ بل لعلنا نرقص ونحن نغلي دما ٠٠ حتى ينبجس الـدم من أفئدتنا كما يفعل طير « البجع » ٠٠

هكذا يجب أن نكون ٠٠ بل من الواجـب أن نكون شرفاء في الحياة ٠٠ نأكل من فتات الارض ٠٠ ونتنسم من عبير الطبيعة في فلاتها لا من مداخن المدينة ٠٠ ولنستمع الى تصديح الشحارير في غابة الحريـــة ٠٠ لا الى نعيـــق السيارات ، وصافرات شرطة السير ٠٠

الواحد منا يجب ان يكون انسانا متمردا معاصرا ٠٠ يعرف كيف يعيش ٠٠ يتحـــدى مسرح اللا معقـــول ٠٠ ويتحرك بغرابة كما يتحرك الدم في نسغ الانسان ٠

نعم يا أبا رياض ٠٠ هـــذا ما فطرنا عليه يـــوم ولدتنا أمهاتنا والبكاء حليفنا ٠٠ هل لاننا سنعيش حياة أسر جديدة ؟٠٠

لكنها الحقيقة ٠٠ يولد الانسان ليمثل حلقة في عالم لا أول له ولا آخر٠٠ ونقطة تتلاشى في مد وجزر المحيط ٠٠

فما أروع أن يجلس أحـدنا أمـــام عواصف البحر وغضبها في الشتاء ليتعلم كيف يثور وقت الثورة ٠٠ ويهدأ في لحظة السكينة ٠٠ مع أطيب التمنيات ٠

حلب ـ احمد دوغان

الى الشاعر اسماعيل عامود

شكرا أبـــا الفداء ٠٠٠ يا أخلص الخلصاء ٠٠٠
يا نفحة مـــن شباب ٠٠٠ معطـــر الافيــــاء ٠٠٠

وهمسة مـــن حبيب ٠٠٠ ولحظـة مـــن هناء ٠٠٠
أفض علي قليـــلا ٠٠٠ مـــن هذه الانبـــاء ٠٠٠

فانت وحـــدك أدرى ٠٠٠ بغربتي وانطوائـــي ٠٠٠
وأنت أعلـم منـــي ٠٠٠ بمحنـــة الشـعراء ٠٠٠

والتائهـــين شـــقاء ٠٠٠ في ظلمـــة الارزاء ٠٠٠
الضائعين همومـــا ٠٠٠ في موكب الاشـقياء ٠٠٠

فهم ، وحقـــك موتى ٠٠٠ بقيـة ٠٠٠ من دمـاء ٠٠٠

★ ★

أبـــا الفداء ، وقلبي ٠٠٠ يهيـــم في الصحراء ٠٠٠
افتح عيونك ، تلمح ٠٠٠ قوافـــل البؤســـاء ٠٠٠

مـــن شاعر عبقري ٠٠٠ ممـــزق في العـــراء ٠٠٠
ومتـــرف يتـــلوى ٠٠٠ عـــلى أكف الثـــراء ٠٠٠

فلو سالت طويـــلا ٠٠٠ عـــن هـــذه الادواء ٠٠٠
لقيل هـــذا شريـف ٠٠٠ وذاك وغد ، مرائـــي ٠٠٠

★ ★

يا من تكات جراحـــا ٠٠٠ نسيانهـــن شفائـــي ٠٠٠
خل الغريب ، غريبـــا ٠٠٠ فالحس٠٠٠ أصلبلائي ٠٠٠

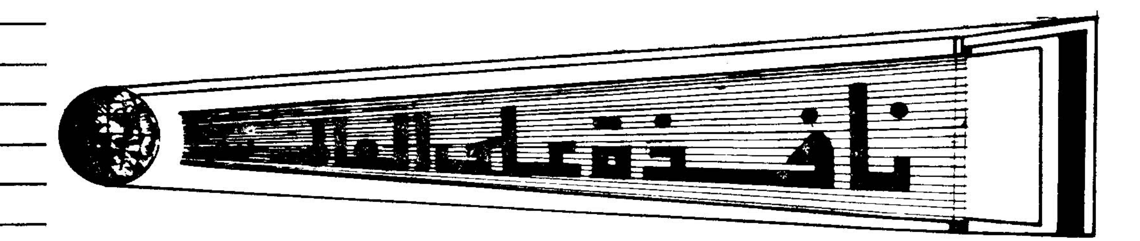
ولو تحجـــر ٠٠٠ يوما ٠٠٠ لصرت في الاغنيـــاء ٠٠٠
لكن نبلي ، نبـــل ٠٠٠ أسمى من الجـــوزاء ٠٠٠

★ ★

لك التحيـــة منـــي ٠٠٠ يا أنبـــل النبـــلاء ٠٠٠
آمنت أنـــك قلـــب ٠٠٠ متيـــم بالوفـــاء ٠٠٠
وأن ودك ، ود ٠٠٠ أغنيته بالعطـــاء ٠٠٠
فدم لأنـــور حلـــما ٠٠٠ يبقى بقـــاء السماء ٠٠٠

★ ★

انور الجندي



● بعد أربع سنوات من الصمت ، قدم الشاعر مصطفى البدوي ديوانه الجديد للطبع ، بعنوان « متعب في وجه المرايا » . يضم قصائد قومية ووجدانية وانسانية، ونتمنى على الشاعر الا يطيل صمته ثانية .

● القى الاستاذ عبد اللطيف الارناؤوط ، محاضرة في المركز الثقافي العربي في السويداء ، عن نضال المرأة المرأة في الشعر الفييتنامي المعاصر . وسيحاضر في درعا عن المرأة في الادب الياباني .

● « الاديب والايديولوجيا في سورية » كتاب صدر لنبيل سليمان وبو علي ياسين . تناولا فيه بالنقد ، انتاج عشرين قاصا وروائيا في سورية، خلال فترة ١٩٦٧-١٩٧٣.

● باشراف اياد الحاج عيسى وعبد الله الطنطاوي ، صدر في حلب ديوان الشاعر الفلسطيني الفقيد محي الدين عيسى .

● حنا مينه ، اصدر روايته الجديدة « الباطر » ونشرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي وسينشر قريبا رواية جديدة أخرى بعنوان « بقايا صور » .

● احيت الشاعرة هيام نويلاتي امسية شعرية في نادي شباب العروبة في حلب . كما احيا الشاعر احمد عيد حسن ، امسية شعرية اخرى في المركز الثقافي العربي .

● نشرت وزارة الثقافة والارشاد القومي كتاب « بلوغ الامل في فن الزجل » تأليف ابن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧ /هـ ، وقد حققه البحاثة العراقي الدكتور رضا محسن القرشي .

● بدعوة من الندوة النسائية في دمشق ، ألقت السيدة هدى ابو غنيمة الناصر محاضرة بعنوان « هل نحن عرب بالتبعية ؟ » تطرقت فيها الى الشعر القديم والحديث في مقارنة موقفه بينهما ، وقد لاقت استحسان جمهور المستمعين .

● صدرت للشاعر رياض معلوف ، مجموعة شعرية بعنوان «غمائم الخريف» تقع في ١٦٨ صفحة

● « جدران الصمت » ديوان شعر رمزي ، للشاعر م.ع. الربيع ، صدر عن منشورات مجلة الاديب

● « الوجه الآخر » مجموعة قصصية من تأليف محمد رؤوف بشير ، صدرت عن مؤسسة نوفل في بيروت .

● من منشورات جامعة بيروت العربية ، صدر كتاب « وثائق اساسية من تاريخ لبنان ١٩١٧ - ١٩٣٠ » جمعها وعلق عليها عبد العزيز سليمان نوار ، الاستاذ في قسم التاريخ بجامعة عين شمس في القاهرة وجامعة بيروت العربية .

● صدرت عن دار الفريال رواية « الموجة السالمة » للدكتور رودولف خربوطلي ، قدم لها سيم مكرزل ، ورسم صورها الفنان انطوان سلام ، تقع في ١٦٧ صفحة

● خليل خوري ، اصدر مجموعته الشعرية الثامنة « الى ابن لبنان ؟.. »

● الموسوعة الفلسفية التي وضعها نخبة من العلماء والاكاديميين السوفيات ، واشرف عليها م. روزنتال ، قام بترجمتها الى العربية عمر كرم ، وراجعها الدكتور صادق العظم وجورج طرابيشي. صدرت عن دار الطليعة في بيروت، تناولت الفلسفة وتاريخها ومصطلحاتها واعلامها ، وعلوم الاجتماع والنفس والمنطق والاقتصاد السياسي والجمال وفلسفة الفن واعلام الفكر الثوري .

● ثلاث موسوعات اخرى في طريقها الى الصدور .. الاولى : الموسوعة السياسية التي كادت تنفذ طبعتها الاولى ، وقد عكف نفر من المثقفين على مراجعتها وتنقيحها واضافة موضوعات جديدة لها . والثانية الموسوعة العسكرية . اما الثالثة ، فموسوعة لعلم النفس والتربية ، وستصدر كلها عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

● ومن منشورات دار القدس ، صدرت رواية (اسد البحار - ابن ماجد) للاستاذ رشدي صالح ، تعتبر محاولة

في الرواية التاريخية ، تعالج شخصية البحار والمكتشف العربي ابن ماجد ، من خلال عرض تجارب حياته في حوادث تتضمن سردا لمغامراته ·

● « القرآن والفكر الاسلامي » عنوان محاضرة القتها في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت ، الدكتورة بنت الشاطىء ، استاذة الدراسات القرآنية بدار الحديث الحسينية وكلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب ، واستاذة ايضا في جامعة عين شمس ·

● للمؤرخ فيليب حتي ، صدر عن الدار المتحدة ، الجزء الثاني من كتابه « خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى » وهو تتمة للجزء الاول الذي صدر عن الدار نفسها منذ بضعة اسابيع

● نشرت دار الاداب في بيروت ، رواية جديدة لغادة السمان بعنوان « بيروت ٧٥ » · وقد سبق لمجلة الاسبوع العربي ان نشرت فصولها تباعا ·

● كمال اديب ، صدر له كتاب « في النغمة الايقاعية للشعر العربي » حول موضوع اعادة النظر في بنية الاوزان العربية كما وضعها الخليل بن احمد ·

● عزمت دار نوفل للنشر في بيروت ، على اعادة طبع مؤلفات الاديبة الراحلة « مي زيادة » · والجدير بالذكر ، ان الاديبة سلمى الحفار الكزبري زارت القاهرة للاتصال بالذين عاصروا مي ، وتقصي آثارها واخبارها ، لتؤلف كتابا عنها

● « مبادىء فلسفة المستقبل » تأليف لودفيغ فيورباخ ترجمه الى العربية الياس مرقص ، كتب له مقدمة طويلة ، والكتاب يحتوي على نصين ، احدهما يحمل اسم الكتاب · والثاني « اطروحات مؤقتة من اجل اصلاح الفلسفة » وسيصدر قريبا

● جبرا ابراهيم جبرا ، جمع دراساته النقدية في كتاب بعنوان « النار والجوهر » · تناول انتاج عدد من الشعراء بالدراسة والتحليل ، كالجواهري والسياب ويوسف الخال ، ونزار قباني وغيرهم · وقد اهتم بالاثر الشعري كاسلوب الفاظ ، اما المضمون والموقف فمرفوضان لديه

● صدر في سلسلة كتاب الهلال « اضواء على الادب والحياة » للاستاذ ابراهيم المصري ، تضمن نظرات وتأملات في الوان مختلفة في الفكر المعاصر

● للدكتور ابراهيم السامرائي ، صدر كتاب « تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، بحث فيه واقع اللغة العربية ووسائل تيسيرها رسما وبناء ونحوا ، نشرت هذا الكتاب اليونسكو العربية

● « عذراء الليل » مجموعة قصصية جديدة لمحمد بدوي ، صدرت في القاهرة

● « العلاقات الثقافية بين ايران والعرب » كتاب ، يضم محاضرات القاها في المركز الثقافي الايراني في القاهرة ، الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ احمد حسن الباقوري والدكتور فؤاد عبد المعطي الصادات وغيرهم ·· قدم الكتاب السفير والمستشار الثقافي الايرانيين في القاهرة

● عبد الحليم الجندي ، أتم كتابه الجديد عن الامام جعفر الصادق ، وقد صدرت له سلسلة دراسات عن الأئمة : أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ·

● دار الجديد التي يشرف عليها الدكتور رشاد رشدي ، نشرت مجموعة شعرية جديدة بعنوان « الحب لا يعرف الخريف » للشاعر عمر الجيار ، وصدر عن الدار ايضا ، النص الكامل لمسرحية « الكيترا » لابورسيس ، وقد ترجمها عن اليونانية كمال ممدوح حمدي ، وتعتبر اول ترجمة عربية لهذه المسرحية عن اللغة الام ·

● وعن الهيئة العامة للكتاب التي يشرف عليها الشاعر صلاح الدين عبد الصبور ، صدر كتاب « اصول الفكر الحديث عند الطهطاوي ·· تضمن النص الكامل لكتابه » تخليص الابريز « درسه وعلق عليه الدكتور محمد فتحي حجازي

وصدر عن الهيئة نفسها الكتب التالية : علم التفسير للدكتور عبد الله شحاذة ، واسس الاخراج المسرحي من تأليف الكسندر دين وترجمة سعدية غنيم ، والصحراء والثروة والثورة لمجدي حسنين

● صدرت في بغداد المجموعة القصصية الاولى للاديبة العراقية لطفية الدليمي ، وهي أشبه بمذكرات شعرية ، متوهجة بالصورة والاحكام المطلقة ، انما تبشر بمستقبل جيد

● وفي سلسلة كتب التراث التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية ، صدر كتاب « ذيل تاريخ بغداد مدينة السلام » لابن الدبيثي ، حققه وراجعه الاستاذ بشار عواد معروف

● ديوان جديد للشاعر عبد الوهاب البياتي بعنوان « قمر شيراز » يضم ثماني قصائد اصدرته وزارة الاعلام العراقية

● اصدرت منشورات الاوقاف القادرية في بغداد الجزء الاول من كتاب « الآثار الخطية في المكتبة القادرية

في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني » من تأليف الاستاذ عماد عبد السلام رؤوف ، ويقع في ـ ٣٢٠ ـ صفحة

● «شيء آخر غير الحب» مجموعة شعرية لنهال حسن العبيدي ، صدرت عن مطبعة حداد في البصرة ٠

● ونشرت مطبعة القرى الحديثة في النجف الاشرف، مجموعة شعرية ، بعنوان « هاكم فرح الدماء » للشاعر عبد الاله الصائغ

● يعكف الاستاذ عبد الهادي الفكيكي ، على جمع مقالات كتبها البحاثة العراقي الفقيد توفيق الفكيكي في كتاب ، يضم اليها مراسلاته ، ومساجلاته مع الشعراء وغيرهم ، وسيصدر قريبا

★ معرض الكتاب العراقي ، الذي أقامته وزارة الاعلام في اوائل نيسان ببغداد ، ضم ١٤ كتابا صادرا عن المكتب الثقافي القومي و ٥٣ كتابا من منشورات دار الثورة و ٧٢٦ كتابا للدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، ومجموعة من مطبوعات دار الطليعة والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في لبنان ٠ بين هذه الكتب مؤلفات أدبية وعلمية وتاريخية وجغرافية وعداها من حقول المعرفة ٠ وبيعت الكتب المعروضة للجمهور مباشرة بتخفيض ٢٥ بالمئة من اسعارها٠

★ في ١٧ نيسان نوقشت رسالة الماجستير التي أعدها الطالب جواد عبد جواد الموسومة « النزعة العسكرية للجيوبوليتيكا الصهيونية » في قاعة الحصري بكلية الآداب ، وتناولت الرسالة تحديد مكامن الخطر الصهيوني وتوسعه الجغرافي ٠

★ (بواكير التفكير الحديث في العراق) عنوان الكتاب الذي يطبع حاليا لمؤلفه الدكتور يوسف عز الدين ، وهو في الاصل مجموعة محاضرات القاها الدكتور المذكور على طلبة معهد الدراسات العربية بالقاهرة ٠

★ صدر كتاب (مذكرات ناجي شوكت) وهو يؤرخ أحداث وسياسة العراق للنصف الثاني الماضي من هذا القرن ٠

★ عثر على تمثال برونزي ناقص للملك الاكدي الشهير (نرام سن) صاحب الشريعة المشهورة التي تسبق شريعة حمورابي الاكثر شهرة ، وقد تم العثور عليه مصادفة عند شق أحد الطرق في محافظة دهوك شمالي العراق ، وهو تحفة أثرية بالرغم من الضرر الكبير الذي لحق به ، وفقدان النصف الاعلى منه ٠ وهو يمثل الملك عاريا من ملابسه وجالسا على الارض في وضع تعبدي ٠

★ (قضايا في الموسيقى والفولكلور) عنوان كتاب سيصدر قريبا بقلم أحد عازفي آلة (الفيولا) في الفرقة السمفونية الوطنية ٠

★ (المسرحية الشعرية العراقية من خالد الشواف الى حازم سعيد) عنوان المحاضرة التي القيت في مقر اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد مساء الجمعة الموافق ٧٥/٤/٢٥ ٠

★ القاص العراقي أدمون صبري توفي في ٢٨ آذار من جراء حادث اصطدام سيارة في طريق بغداد ـ الموصل رحمه الله ٠

★ تم تكريم الشاعر حافظ جميل في نادي الجامعيين بالمنصور من قبل اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ٠ ومن اعضاء الاتحاد المذكور الذين ساهموا في التكريم بكلماتهم واشعارهم وابحاثهم : حارث طه الراوي ، عدنان فرهاد ، وحيد الدين بهاء الدين ، يعقوب أفرام منصور وسالم الآلوسي ٠ واختتم الشاعر نفسه حفل التكريم بقصيدة من شعره ٠

● صدرت عن دائرة الثقافة والفنون في عمان ، مجموعة قصصية بعنوان « حكايات جديدة » للاستاذ عيسى الناعوري

● « نقرات الازميل » ردود عن مشاكل الحياة الحاضرة من تأليف الاذاعي الاديب يوسف ابو ريشة ، صدر في عمان

● جمع محمود الاخرس ما نشره قبلا من مقالات في المجلات ، بكتاب عنوانه « مطالعات في علم المكتبات ، بحث فيه اصول تصنيف المكتبات والفهرسة وموضوعات أخرى تتعلق بالمكتبات ، يقع الكتاب في ٢٧٥ صفحة

● « من تاريخنا » هو الكتاب التاسع والعشرون للاستاذ محمود العابدي ، تناول فيه مواضيع هامة عن فلسطين والاردن ، كموضوع الشرطة في مختلف عصور التاريخ العربي ، والاسلحة ، والتحركات الشعبية في العصر الحديث

● تستعد وزارة الثقافة المغربية لاحياء الذكرى الالفية للشاعر ابن زيدون ، القرطبي الاندلسي ٠ وقد اعلنت عن مسابقة يشترك فيها الفنانون والموسيقيون من ابناء الوطن العربي ، لتلحين احدى قصائد ابن زيدون ، وخصصت جوائز قيمة للفائزين ، هي :

١ ـ جائزة لأمثل لحن عربي مبتكر مستوحى من البيئة الاندلسية

٢ ـ جائزة لأمثل لحن عصري عربي

٣ ـ جائزة لأمثل لحن عصري غربي

كما خصصت جوائز ثلاثا لأحسن لوحات فنية يرسمها فنانون عرب ، تعبر عن شخصية الشاعر ابن زيدون وولادة بنت المستكفي ، بعد دراسة عميقة لحياة الشاعرين وأوصافهما من خلال الكتب والروايات ٠